ديار الاسلام عامرة

رواية
احمد صبري

اجعة الشيخ
ابوعمر احمد بن محمد

قال الحلاق وهو ينفض عن ياقة سترته الشعيرات المتناثرة :

- أستاذ مهدى كان يحلق عندي بالأمس.
- رجل طيب صالح.
- اتصدق. لقد أعطاني خمسة جنيهات كاملة تنهد وهو يكمل إصلاح ثيابه ويناوله الجنيهين:
- لقد وسع الله عليه في الرزق . فلماذا لا يظهر فضل ربه عليه ؟

خرج من الباب وهو يؤكد لنفسه لو أن لي مثل دخل المهدى ، أذن لأعطيت الحلاق خمسة جنيهات ، بل لعلى كنت ازيدة عشرة . المال مال الله ، والاسطى عماد الحلاق شاب طيب مسؤلياته كبيرة بدءا من اخته المريضة التي تخلى عنها زوجها تحت دعوى انه يحتاج إلى امرأة تقوم بخدمته وليس لامرأة يقوم هو على خدمتها . وانتهاء ببناته الثلاثة والمحل الذي استأجر من ذلك((الغول)) الكسيح الذي تقاعد من خدمة الشرطة ، ليستغل كل من بالمنطقة بعد أن اوقعهم في وهم عظم سلطانة ، ومن هؤلاء الاسطى عماد الذي اجر دكان الحلاقة مفروشا بمائة جنية شهريا رغم أن الغول قد استولى عليه من صاحبته بحيلة خسيسة وحرر منها عقد أيجار بمائة وخمسة وسبعين جنيها في الشهر ، ثم اتضح انه غافلها وحصل على توقيعها على إيصال يفيد سداده للإيجار مقدما لمدة خمسة أعوام .

تنهد وهو يفتح الباب : بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم رافعا صوتة وهو يمر بباب المطبخ :

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

قالت زوجته بعد أن سمعت صوت الهامس .

- هل وصلت إليك أخر الأخبار ؟

سار خطوات للداخل مؤكد عدم رغبته في الاستماع وقال كعادته :

- يا سيدتي دعي الملك للمالك ... مالنا الناس ...

لحق به صوت زوجته في إصرار :

- ابن المهدى الكبير عاودته النوبة ثانية صباح اليوم .

انقبض قلبة بشدة وتنهد :

- لا حول ولا قوة ألا بالله العلي العظيم .

اسستدار عائدا ، اطل برأسه داخل المطبخ المغبش بالدخان المشبع برائحة الطعام :

- مسكين هذا الولد ، سمعت أن به مسا من الجن .
- لم تعلق زوجنه ، واستدارت وبيدها الطبق الذي أفرغت ما به من بصل مبشور داخل الإناء ثم قالت :
- لقد اتصلت أمه بنا كانت ترجوا أن تكون مجودا لكي تساعدها في البحث عن طبيب

سألها في اهتمام :

قالت الزوجة في نبرة تخفيها وان افصح عنها صوتها :

- انك تعرف مشاغله .
- قال طاردا أي ظل للحسد في ذهن زوجته
- كان الله في عونه طبيعة عمله تلزمه بكثرة السفر .

قالت وهى تشعل النار تحت الإناء :

وأنت ألست صحفيا وزملاؤك لا يكفون عن السفر لكنك لم تسافر طيلة عملك مرة واحدة إلى الخارج ؟

تنهد حاسما الأمر:

- دعك من هذا الحديث ، فكثيرا ما قلت لك أنها أرزاق ، واحمدي الله على ما نحن فيه وقولي لي هل عاد الولد طيبا ، زمجرت في رأسي من استجابته ، ثم قالت :

- لقد اتصلت بأمه عليه فطلبت منى راجية أن تحضر لهم صديقك قريب الشيخ ليجلس إلى ابنها ويقرا له ما تيسر من القرآن . فدواء الأطباء لم يحقق له الشفاء .خلع عنه سترته وهو يتجه إلى الداخل قائلا :

- سوف اتصل به تلفونيا ليحضر . وإذا احتاج الأمر الان اذهب إليه سأفعل.

تخطى باب حجرته وهو يفك أزرار القميص بعد أن وسد سترته السرير وحين انتهى من خلع قميصة وبدا في ارتداء سترة البيجامة ، قد كان استعاد تجاربه مع صديقه صالح على مدى حياتهما ، أيقن أن عليه يذهب إليه بنفسه ليلتقطه من أمام باب بيته . فهكذا يفعل معه كلما أراد أن يستعين به ، فقريب الشيخ رجل طيب لا يستطيع أن يواجه أي محتاج بكلمة : لا . لذلك فانه يسلم قيادة لاول شخص يقابلة حتى رفت من عملة بدار الطباعة التي كان يعمل بها رساما لكثرة انقطاعه وتغييبه المتكرر دون إذن أو عذر ، واصبحن مآسي الناس هي شغلة الشاغل .

فارق بيتة مبكرا على غير عائدة ، فقد تعود ألا يخرج كل صباح قبل الساعة التاسعة . لذلك دهش سايس الجراج وهو يراه يلج إلى سيارته فتساءل :

- مسافر خارج القاهرة ؟

وبعد أن انتهى من الأسئلة قال :

- لا .أبدا موعد مبكرا . توكلت على الله ..

انطلق بالسيارة بعد نفح السايس الإكرامية وحين وصل إلى بيت قريب الشيخ كانت الشمس قد بدأت تطل من وراء العمارة التي يسكن في دورها الأخير .

أطلق نفير سيارته بطريقة متفق عليها . فاطل راس زوجة صديقة بخمارها الأبيض الذي راح يهتز بما يفيد أن رجلها في طريقه نازلا ..

أوقف السيارة بجانب صور حديقة المنزل المواجه ، واستغرق منصتا إلى صوت القارئ ينساب فى خشوع من المذايع ورغم طول ما مر من وقت فان كلام الله جعله فى طمأنينة ورضا فلم ينتبه الا على صوت باب السيارة يفتح مع صوت صديقه صالح يقرئه السلام

رد تحيته بأحسن منها وقص عليه ما يحدث لابن المهدى من عوارض في كلمات قليلة وهو ماض بسيارته عائدا إلى بيته

غادر الصديقان أمام مدخل الجراج ومشيا إلى بيت المهدى على مهل حتى لحقت بهما زوجته التي كانت تنتظره بالشرفة وقد تزينت ولبست احسن ثيابها.

في صمت صعدوا السلم ضغطت زوجته زر الجرس أضاءت لمبة تثبت فوق الباب فلمعت قطعة نحاس مستديرة نقش عليها اسم صاحب الدار المهدى الرهاوى كان الخط كبيرا واضحا بلونه الأحمر وتحته تماما بالون الأسود كتب **إدارة الوعظ والإرشاد وزارة الأوقاف**

فتح الباب فاطل وجه مستدير لسيدة بيضاء محجبة أما ما عدا الوجه فلا ينبئ إلا عن كومة شحم. تأملتهم بعينيها المستديرتين وهى تكتم تشاؤمها قائلة :

- تفضلوا ..

- أضافت زوجته تقدمها :
- الحاجة هنية زوجة الأستاذ مهدى

دخلوا متتابعين : زوجته يسبقوها عطرها الفواح ثم هو فصديقه صالح .. بينما اكتفت زوجة المهدى بالتنحي جانبا والإشارة لهم بالدخول إلى غرفة جانبية

- كان المنزل فخم الأثاث وحيطانه غطت بصور المهدى مع بعض القيادات الدينية التي تنشر صورها وأخبارها كل يوم بالصحف و المجلات وتخاطب الناس في أحيان كثيرة من خلال أجهزة التليفزيون و الراديو
- كانت هذه هي المرة الأولى التي يدخل فيها بيت المهدى فرغم توالى لقاءاتهما بالجامع الرئيسي للحى ورغم الجيرة فلم يسبق له ان شاهد مسكن المهدى وزوجته وأولاده الذين ترددوا عليه و بالتالي كان من حق أولاد المهدى أن يترددوا على بيته فراهم و تعرف عليهم
- أقبلت زوجة المهدى تحمل أكوابا من الشاي واضح أنها جهزت من قبل وصولهم همست لهم وعيناها تدوران فيما حولها في توجس قائلة :
- منذ حصل على الثانوية العامة أصابه ما أصابه
- قال قريب الشيخ في ثقة :
- عين حسود وقانا الله من شر حاسد إذا حسد
- أضافت هنية مؤكدة وهى تجلس :
- جيراننا سامحهم الله ينقمون علينا ويشتغلون بالسحر
- صرخ قريب الشيخ مستنكرا ..
- لعنهم الله . قبحهم الله . شر .. شر سيزول بإذن الله
- استطردت هنية وكأنها لم تسمع شيئا :
- لقد شاهدتهم من بصاصة الباب وهم ينثرون الماء المسحور أمام عتبة بيتنا
- عاود صالح صراخه :
- أعوذ بالله من غضب الله ..
- قاطعته هنية تمنعه من الاستطراد :
- كل هذا من اجل أن يوقعوا الولد في هوى ابنتهم طامعين في مال الأستاذ وسلطانه
- فتح صالح فمه ليصرخ ولكن صرخته هذه المرة توقفت في حلقه فلقد نهضت في حسم قائلة :
- تفضل يا أستاذ الولد موجود في حجرة نومه
- تحركت هنية في مشقة أشار قريب الشيخ له يستحثه أن ينهض معه ليترافقا وكان فمه مفتوحا بالصرخة التي لا تخرج سارا خلف كتلة الشحم الضخمة تتخبط في المقاعد ثم في الباب نصف المغلق ودخلا فإذا بالفتى يرقد نصف نائم بفراشه وحين شاهدهم اعتدل جالسا معتذر عن عدم قدرته على الوقوف
- هون عليه قريب الشيخ قائلا :
- ابق في سريرك .. سأجلس بجانبك
- واتجه هو ليجلس على الطرف الآخر من الفراش ، قائلا لصالح :
- كامل فتى مهذب واتعبره مثل ابنى احمد

- اخذ قريب الشيخ راس كامل واسندها إلى كتفه وبدا يمسح علبيها بيد ويتمتم بايات من القران الكريم لحظات انسابت دموع كامل على وجهه الاسمر ثم راح فى نوم عميق هنا ختم الشيخ فراءته ومال على اذن كامل يساله عن الذين فعلوا به هذا وكامل يجيب فى تكرار قائلا فى تشنج
- .. هى ..
- هى .. هى ؟
- هى ..هى ..
- هى من ؟ .. ما شكلها ؟
- بيضاء رفيعة قصيرة .. تنظر إلى فى غل شديد انا اخافها .. اخافها ..
- وعادت دوموع كامل تنساب لتمزق قلبه حزنا وشفقة للحالة التي وصل اليها الفتى بينما نظر اليه صديقه وتمتم :
- الم اقل لك انه السحر اللعين .. الان اصبحت لعبتهم مطاردة الطيبين بالسحر الاسود يستخدمون الجان السفلى
- الله اكبر .. الله الشافى .. يا حافظ يا حافيظ .. يارحمن .. يارحيم..
- وعاود قريب الشيخ ترديد ايات من القران الكريم وهو يلمس بكفه من ان لاخر وجه كامل المبلل بالدموع ويتوقف عن القرات هامسا :
- استيقظ ..
- لحظات طويلة .. ثم فتح الفتى عنينه وهو يتساءل :
- اين انا .. ماذا يحدث .. ومن انتم
- طمانه قريب الشيخ :
- انت بخير مع صحبة خير
- نظر اليهم كامل طويلا ثم استرخى جسده فى الفراش واستغرق دون مقدمات فى نوم عميق
- اكدت له زوجته بعد ان عاد من عمله ان " جيلان " جارة هنية هى سبب كل ما يحيق ببيت المهدى من متاعب فلقد اخبرتها هنية ان جيلان سيدة شريرة حسود وانها تستغلها على كل ما ببيتها من اطعمة بل لا تتوانى عن سرقة ملابسها الداخلية وملابس اولادها وزوجها ويعلم الله ما اذا كانت تستولى على كل هذه الاشياء لا ستخدامات فى السحر والكيد لهم
- قال هو وكانما لم يستمع ما قاله :
- لقد شاهدت الأستاذ مهدى ينزل من سيارة مكدسة بالحقائب يبدو انه كان مسافرا منذ أسابيع أعانه الله على مواجهة ما أصاب كامل فالأب منا أهون عليه ان يمرض هو ولا يمرض احد من ابنائه
- التمعت عينا زوجته بالفضول وهى تقترب منه ورائحة البصل لم تزل عالقة بثيابها حدث نفسه نافرا : لغنة الله على عقول النساء كم نبهتها إلى ان ما تصنعه بى حرام ، تتزين حين تخرج وتضع العطور لكى يشمها الاجانب ، اين ذهبت نصحية جدتنا الاعرابية لابنتها حين اقبلت على الزواج بان تجعل زوجها لايرى منها الا حسنا ولا يشم منها الا كل ريح طيب
- لماذا لاتدرس الامهات حديث الجدة الاولى لبناتهن
- زجرته حين لاحظت اكفهرار وجهه بكلمات متلاحقة كطلقات المدفع

- دعك من االتافف وقل لى ماذا قال صديقك ؟ هل كامل ممسوس بحق ؟ لقد طلبت من هنية ان اخبرها بالحقيقة لانكم خرجتم من بيتها دون كلمة تطمئنها
- قال متعمدا اثارة فضولها اكثر فهو يعلم ان لاصبر لها :
- كان متعجلا لارتباطه بموعد اخر
- سالته فى غيظ ، ثائرة تصرخ
- هكذا الم تتحدث اليه وانتما معا فى السيارة ؟ نفس اسلوبك المعتاد تقص حكاياتك للاخرين وانا اخر من تعلم
- اجاب باقتضاب ليرفع من انفعالها :
- تحدثنا طبعا ..
- التفت حوله بخبث لين تستثيره فهى تعرف انه لايحب ان يغتاب احدا ..
- بل واثقة انا من ان صديقك لم يتكلم لان هنية لم تمنحه مالا
- زجرها غاضبا :
- لو فعلت ما تقولين لكان صديقى لقتها درسا فى الاخلاق لن تنساه
- قالت منتصرة :
- لقد قلت لها ذلك ذلك وحذرتها لاننا نعرف انه يقوم بهذه الاعمال ابتغاء وجه الله
- ان صالح حساس عفيف رغم ظروفه المعيشية القاسية
- ولماذا لايلجا إلى قريبه الشيخ رجل كريم ولا يتوانى عن مساعدة المحتاجين
- سالته مرة فقال : اللجا لغير الله ؟
- لقد واتتنى فكرة .. لماذا لانطلب من هنية ان تهدى اليه والى زوجته بعضا من الملابس ؟
- ليت الملابس تكون لاولاده فلقد لاحظت ان ملابسهم رثة
- اذن ساطلب هنية على الهاتف واقترح عليها ذلك ..
- ولكنك لم تقل لى ماتذا قال لك صديقك عن مرض كامل ؟
- قال ان مسا من الجن وانه محتاج لاكثر من زيارة
- اذن ساخبرها بما اتفقنا عليه وبانك ستاتى بصديقك غدا ليعود كامل فى حضور المهدى ولعلها تكون فرصة للحديث حول امكانية توسطه لك لدى بعض من اصدقائه بالسعودية لكى تعمل هناك
- نظرا اليها فى غضب شديد يزجرها :
- ومن قال لك اننى اريد السفر ؟؟
- انت .. !
- ولكن ليس عن طريق الاستاذ المهدى
- ولماذا عن غير طريقه هو بالذات ؟
- لاننى لا احب ان اخدم جارى بماقبل
- انت حر لكنك ستضيع فرصة السفر فلقد اخبرتنى هنية ان المهدى امامه عرض مغر للعمل هناك ولكنه لايريد السفر بعيدا عن مصر

- لن يضيع على شئ قدره الله لى
- هكذا انت لانك لا تشعر بالهم الذى نحن فيه بسبب راتبك الذى لا يكفى احتياجات البيت والاولاد لاكثر من عشرة ايام كل شهر
- وهل الهدى هو من سيكفيكم الشهر كله ؟!
- كان المهدى الرهاوى جالسا فى انتظارهم بحجرة الاستقبال وقد ارتدى جلبابا فضفاضا ازرق اللون ووضع على كتفيه عباءة شفافة من تلك التي يتزين بها الاثرياء فى دول الخليج العربى نظر اليه وكانه يراه لاول مرة اسمر الوجه غليظ الشفاه ضيق العينين رغم النظارة ذات العدسات المكبرة والتى كانت تلتهم جزءا كبيرا من وجنيته وانفه قدم صديقه قريب الشيخ اليه :
- الاخ صالح
- مد المهدى يده فى تنازل واضح وتبسيط مفتعل وخرج صوته ناعما
- اذن فهذا انت قريب شيخى
- فى سرور شديد احتضن صالح اليد الممتدة اليه يهزها بكلتا كفيه :
- اهلا وسهلا استاذ مهدى مهدى لقد سمعت عنك ما يثلج القلب فالشيخ دائما يذكرك بالخير و التقدير
- بارك الله فيه هو استاذ الجميع لعلك لم تذكر عنده حال ابنى
- باى حال لم ولن يحدث هذا وان كان لا يخفى عليك ان المؤمنين مطاردون بالسموم
- الله معنا نحن الذين اخترنا طريق رضاه و الدعوة لاسوة الحسنة
- انتابه فجاة احساس بالغربة وشعر بوحدة قاتلة جعلته يرغب فى الفرار من المكان لكنه قاوم مشاعره التي لم يجد لها مبررا حتى لقد زجر نفسه مؤنبا فلعل مصدر هذا الاحساس عدم الاهتمام بشخصه وغيرته من انصراف المهدى بكل جوارحه إلى صديقه فلقد راحا يتحاورن معا فى امور دينية واخبار وذكريات كانت لهما مع الشيخ ثم قطع المهدى الحوار فجاة بان زوجته ابلغته عن رغبته فى ان يساعده على السفر للعمل بالملكة العربية السعودية
- استيقظ هو من تاملاته والمهدى يساله :
- هل حقا تفكر فى العمل بالخارج ؟؟
- اجاب وقد هاجت مشاعره فى تاكيد :
- بالسعودية نعم خاصة اذا كان بمكة المكرمة او المدنية المنورة حلم عمرى ان اكون فى جوار بيت الله الحرام او مصليا بمسجد الحبيب عليه الصلاة و السلام
- عقب صديقه متدخلا :
- وهل انت وحدك من يحلم بهذا ؟
- تساءل المهدى مندهشا
- انت ايضا يا استاذ صالح ترغب فى السفر ؟
- اكد قريب الشيخ :
- انها امنية كما قال صديقى يا ليتنا نتزامل ثانية فلقد تزاملنا فى المدرسة الثانوية
- قال المهدى فى ثقة :

- الامر بسيط جدا .. اصدقائى هناك كثير .. وقد فاتحونى برغبتهم فى ان اعمل هناك لكننى لا افكر فى هذا وضعى هنا بمصر مستقر ثم اننى اسافر كل عام اكثر من ثلاث مرات للعمرة كما ان عملى يكلفنى بمهام كثيرة فى المملكة العربية السعودية وغيرها من بلاد الاسلام إلى جانب عدم وجود من يسطيع ان يملا مكانى هنا
- تملقه قريب الشيخ قائلا :
- مصر كلها ترى انه ليس هناك ثلاثة فى مثل قدرتك كداعية
- قال المهدى وكانه يؤكد ماقاله صالح :
- الواقع ان بقائى بمصر مسئولية قومية لذلك من الممكن ان اتحدث اليهم ليستعنوا بك فى عمل صحفى ومن الممكن ان اخطرهم بذلك من هنا
- واشار المهدى إلى الهاتف متالق البشر على وجه صالح و التفت يهمس اليه بصوت يسمح للمهدى بسماعه
- الم اقل لك ان مولانا الاستاذ مهدى بركة
- اكد هو وقد اخذه حماس صديقه كل مااخذه فهلل
- سوف يكون بيتى هناك مفتوحا لك وللاسرة يا استاذ مهدى تشرفونا بالزيارة فى كل عمرة او مؤتمر تاتى اليه
- وزاد حماسه فتخيل اخواته وازواجهن وهم يصحبون امه وينزلون على داره بمكة المكرمة فتسهل لهم الاقامة وتتيسر مناسك العمرة ويطردون عنه وعن اولاده الاحساس بالغربة وتنزاح عن الوجدان اشواقه لرؤياهم
- استقبلته زوجته مهللة فى فخور ذكره اسم الله ودفعه بالمفتاح فى ثقب المزلاج فتحت هى الباب ووجدها امامه كعادتها حين تحمل اليه اخبارا مهمة لا تقدر على كتمانها :
- ابشر ..
- خيرا .. ؟
- الم اقل لك ان اسرة المهدى اناس طيبون ..
- ومن قال بغير هنا ؟؟
- هنية اتصلت بى تليفونيا وابلغتنى بان المهدى تخاطب مع اصدقائه واخبروه بموافقتهم على سفرك وسفر صديقك وانهم سيرسلون بعد عشرة ايام مندوبا بالعقود اليكم
- شعر بالسعادة تغمر كيانه كاد يجار بالتلبية للحج فاذا ماكان سيسافر إلى السعودية خلال شهره هذا فسوف يسبق وصوله بعون من الله وصول الحجيج
- تنهد .. وزوجته تخلع عنه سترته وتتامل فى حب وجهه الذى تالق بالرضا و السعادة وخاطبها فى صفاء وكانه يتحدث إلى نفسه :
- اتعلمين لو ان الله حقق لى هذا المراد فسوف اصحبكم معى وانقل الاولاد إلى المدارس هناك : محمد فى الثانوية العامة ، وممدوح فى السنة الاولى ، اما منة الله فهى ستشق طريقها بين زميلاتها من الاطفال وتتقن منذ البداية قراءة القران .. اتدرين انه كان من اسواء ما ارتكبت من اخطاء فى الصغر هو عدم قراءتى للقران .. اننى احاول كثيرا ان احفظ الان ولكن يبدو ان التعلم فى الكبر امر شاق جدا .. خاصة بالنسبة للحفظ اتعلمين لقد غلبتنى دموعى كثيرا وانا متهور

- امام عدم قدرتى على حفظ كلام الله ، ولا اريد ان يحدث هذا لاولادى اما اعظم شئ ساحققه لهم فى حياتى فهو ان يؤدوا فريضة الحج وهم فى سنهم الصغيرة هذه

- تمدد على فراشه وقد اضاءت الدنيا حوله بالبهجة .. وادركت زوجته مدى حاجته لان ينفرد بنفسه .. فانسحبت فى صمت وتركته يستعيد ما يريد ان يستعيده من ذكريات يطوف معها لقد ترك رئاسته لقسم الفنون بالمجلة بمؤامرة حاكها مع زميل له فلقد وجد ان السنوات تسرق منه وهو يرجو ان يكون مع دخله لسن الاربعين فى موقع بقربه من رضا ربه

- حقيقة هو لم يرتكب الاثم ولم يفعل السوء ولكنه لا يجد نفسه فى عمله وكيف يكون له وجود يتنافر مع عقيدته ؟ لذلك ظل خارج الحياة الفنية برغم ما كان يكتب عنها ورغم كل تلك السنوات الطوال التي قضاها محررا فغنيا حتى ان رئيس التحرير كثيرا ما داعبه قائلا :

- لقد اخترت لرئاسة قطاع الراقصات رجل دين ، وانقيت رئيسا للقسم الدينى من بين رواد الملاهى الليلية و الكابريهات

- ابتسم وهو يتذكر ذلك ، لكن العجيب فى الامر ان رئيسه غضب اشد الغضب حين اكتشف حقيقة المؤامرة التي جعلته يبعد عن الصحفة الفنية ، وحارب بضراوة اى محاولة منه لكى يكتب فى اى موضوعات اخرى ثم فى النهاية وامام تاكده من اصاره ولان رئيس التحرير حاكم عادل يهتم بالعمل اكثر من اهتمامه بمشاعره الخاصة التي تظهر انه قد خدع وغرر به كرئيس ، تركه فى صفحات الراى وحين التقى به فى اجتماع التحرير تحين فرصة حضوره مبكرا واقترب منه فى مودة قائلا :

- حقيقة تحايلت وكذبت عليك وادعيت السفر للخارج حتى تعفينى من رئاسة قسم الفنون لا لسبب غير ثقتى من كونك لن توافق على هجرى للفن وبنشرك مقالاتى احسست انك عفوت اما انا فلقد جئت معتذار وراجيا قبول الاعتذار

- قذف اليه رئيسه بالمفاجاة وقال له امرا :

- اذن تعود ثانية لتراس الفنون

- انغرس الخنجر موجعا لكن بديهته اسعفته فهمس محاولا اخراج الكلمات بلا الم :

- كنت اظن انك حين تعلم ستكلفنى بالكتابة فى الدين

- ضحك رئيسه طويلا ثم قال له :

- عفونا عنك لانك لا تكتب فى الدين ولا الفن ولك ان تكتب فى اى موضوعات اخرى

- فى الصباح ..

- خرج من منزله ، وحين دخل الجراج راح يتفادى اصطدام جسده بالسيارات وهو يتفحص اركان البناء

- كان يتنقى مكانا امنا ليخزن به سيارته حينما يسافر ، فلقد كان مقتنعا بعدم شراء سيارة حينما يسافر هناك فسيارته جديدة ثم هو لايطمح فى مال يدخره او مظهر اجتماعى يستكمله فكل ما يرجوه ان يتمم الله عليه نعمة الحج وان تتاح له فرص للسعادة بكثرة الصلاة فى بيت الله الحرام فاى شئ مهما عظم يتصاغر امام امنيته تلك خو لا ينسى ما احياه الله زيارته الاولى حين سعى للعمرة وكيف ادرك فور وصوله لمشارف الكعبة المشرفة ان كل مامضى من عمره ضاع هباء وان كل ماترك وراءه من اعمال ومال وبيت وزوجة وولد لا يدانى نظرة واحدة إلى بيت الله لحظتها تنهد من شغاف قلبه ك

- .. يا الله .. مااكثرها عبثية تلك الصراعات التي يعيشها البشر

- .. لكنه القلق ، والخوف من الغد
- كل هذا هنالك :
- .. خارج هذا المكان
- .. وهذا الزمان
- اما هنا :
- .. فلقد استقر القلب ..
- .. وهدات النفس ..
- .. وفنى الجسد ..
- .. وحلقت الروح شعاعا يتعلق باستارالكعبة ..
- مناجية خالقها..
- منتشية بلحظة اللقاء ..
- والاغتسال ..
- والميلاد الجديد ..
- اللهم انى قد اوكلت لك امرى
- واسلمت لك رب العالمين
- تسللت حبات الدمع الذى انهمر من عينيه إلى فمه بالدفء فافاق يمسحها عن وجهه منتبها إلى كونه واقفا إلى جانب سيارته
- فتح الباب ودخل مريحا جسده على مقعد القيادة ، اما روحه فكانت تطوف فى نشوة ذكرياته فلقد عاد ثانية بعد عام معتمرا كان الفصل شتاء ..
- عجل بهم الشوق والحنين فلم ينتظروا قدوم الربيع وكان اليوم يوم حمعة وايقظه صوت الاذان يتسامى من الكعبة مع المؤذن مكبرا شاهدا مؤكدا لاحول ولا قوة الا بالله وحين انتهى الاذان انتبه إلى دفقات المطر يعبر صوتها زجاج النافذة المغلقة فيملاه سعادة وحمدا لله ان جعل قدومهم مقترنا بهطول المطر بالخير على اهل هذا البلد الامن لترتوى به الارض فتزدهر ويغاث الناس ويعصرون
- ارتدى جلبابه الصوفى وهبط مسرعا إلى الطريق تتقافز خطاه فى سعادة والامطار تتساقط عليه وهو منتش بما يصيبه من بلل فكل امر يهون مادام سعيا لرضاء الله ورسوله
- وجد زوارا بلباس الاحرام يطوفون حول الكعبة وقد غسلتهم الامطار غسلا وهم فى سعيهم :
- مصرون ..
- متوحدون..
- مستمرون ..
- : فكانهم يغتسلون من ذنب عظيم
- ختم صلاة السنة
- عاد صوت المؤذن يتردد ملائكيا لاقامة صلاة الصبح دهش حين رفع راسه متطلعا إلى ساحة الطواف فلقد توقف المطر تماما ..
- ثم وحين ختمت الصلاة

- اذا بالمطار تعود للانهمار من جديد .. بنفس القوة و التدفق وكانها لم تتوقف الا اجلالا للحظة مثول العبد بين يدى ربه
- وتكرر المشهد مع كل اقامة للصلوات الخمس على مدى اليوم
- وهو يتامل فى الاعجاز الربانى خاشعا ثم مناديا من اعماق اعماق كفار العالم ليشهدوا وليلمسوا وليروا باليقين المادى كيف يكرم الله عباده وزاره فهل هم بعلمهم وتكابرهم يستطيعون شيئا من هذا ولو اجتمعوا له ؟
- : محال .. محال
- : فحاش الله ان يرقى العبد لقدرة الرب ..
- : فلماذا لا يسلمون ؟؟
- افاق على كف سايس الجراج تلمسه برفق وصوته ينبض بالقلق متسائلا :
- استاذ .. هل انت بخير ؟
- رفع راسه التي سقطت على صدره .. ونظر للسائل شاكرا ولم يعقب
- عاود السايس تساؤله :
- فيم تفكر يا استاذ .. لك اكثر من ساعة وانت شارد لا تدرك ما حولك ؟!
- تنهد وهو يخرج من السيارة مقد لفه سلام شفيف :
- كنت افكر فى خالق السموات والارض
- قرر الا يذهب إلى عمله عنده رصيد كبير من الاجازات فلماذا لا يسترح اليوم بالبيت مستطردا فى ذكرياته اليبة بديار الحب
- استدار خارجا من الجراج وعين السايس تراقبه بنفس الدهشة والاستغراب فالاستاذ رجل طيب ودود كريم فى عطاياه ولكن فى حدود رزقه المحدود ولم تكن تصدر عنه تصرفات مالوفة لكن ما باله اليوم ؟ قد يكوناحد ابنائه مريضا وهو يحب اولاده ويراف بهم الكل يعرف عنه هذا : الله فى عونه
- ولكن اذا كان هذا الاحتمال صادقا فلماذا نزل الاستاذ من البيت ؟؟
- ثم لماذا دخل الجراج بل وجلس داخل السيارة ولم يحركها من مكانها لا .. ليس الامر كذلك ..
- : ان الاستاذ اليوم لفى شان عظيم
- الفصل الثانى
- سراب بقيعة
- افاق فزعا من افكاره على صوت الهاتف وقبل ان يمد يده ليرفع السماعة يتوقف الرنين وسمع صوت زوجته تتكلم
- بعد لحظات سمع وقع اقدام زوجته تقترب ، ثم وجدها امامه متسائلة :
- زوجة المهدى كانت المتحدثة لقد سالتنى ماذا ستفعل بسيارتك خاصة وانت مسافر قلت لها انك ستشونها فى الجراج لتستخدمها فى فترات الاجازة
- استغربت مستنكرة وقالت :
- لماذا لا تبيعها وتشترى سيارة ارخص

- سالها مندهشا :
- وماذا افعل بفارق السعر والله سوف يكرمنا بدخل يكفينا ويفيض
- قالت زوجته مبتسمة :
- الاتعلم ؟
- سالها غاضبا لانه يعرف اسلوبها حين تكون قد اخفت عنه امرا وترى ان تفيشيه :
- ومن من اعلم وانت لم تعلمينى ؟
- الم تلاحظ اننى انفق ببذخ على الاولاد
- مااعرفه ان لك دخلا من ميراثك عن ابيك وعن امك رحمهما الله
- وهل ايراد ثلث عمارة بالاسكندرية او الملاليم التي تصلنى مرة كل عام ايجارا للفدادين على الملابس والدروس والطعام ايضا ؟!
- خنقته الغصة فها هى ستعود لتمن عليه بما تساعد به استكمالا لاحتياجات الاسرة
- وماذا استطيع اكثر من اعطائك راتبى كاملا ؟
- على غير عادتها لم تثر ولم تتهمه بالخمول بل ابتسمت وافصحت :
- ان امراة المهدى تستثمر اموالى
- سالها مندهشا
- اموالك ؟؟
- القيت من فمها القنبلة بعد ان ظلت منزوعة الفتيل تنتظر الانفجار :
- الم تعلم انى بعت نصيبى فى العمارة لزوج اختى ؟
- لم يهتز للانفجار وتمتم :
- وهل يفيدنى ان اعلم انها املاكك ولا شان لى بها
- اعطيتها عشرة الاف جنيه والارباح تصرف كل اربعة اشهر ارباح لا يصدقها عقل تصور اخر العام تصل الارباح لاكثر من نصف المبلغ الاصلى
- والمطلوب ماذا تريدون منى ؟
- تقول هنية : انك اذا اودعت ثمن السيارة لديها لتستثمره فسيكون العائد كافيا لسداد اقساط التامينات واى اموال تريدها عند عودتنا لسداد الجمارك على مشتريات
- حك جلد راسه طويلا ، ثم قال :
- هيه فكرة لاباس بها
- فكرة لاباس بها يا رجل حرام عليك انها منة من السماء قم تحدث إلى سايس الجراج لياتوك بمشتر
- باع السيارة ، وتحول الثمن إلى ايصال بالمبلغ من زوجة المهدى الرهاوى بعد ان استوثق من كونها تجارة حلالا وهل له فى غير كلمة تاكيد من زوجة المهدى الرهاوى رجل الصلاح والتقوى وهل هناك ما يجعل قلبه مطمئنا إلى صدق ومشروعية استثمار امواله اكثر من التصوف الايمانى من المراة بعد ان اصرت على ان تحرر له ايصالا بالمبلغ وحين اعترض قائلا :
- لو اهتزت الثقة فى المجتمع كله فليس اجدر بالثقة من بيت المهدى
- قال المهدى حاسما الموقف وامرا:

- تكاتبوا هكذا امرنا الله .. خذ الايصال
- مد يده واخذ الورقة وخرج يفكر فى السيارة البديلة
- لكن فكره لم ينشغل طويلا فلقد تلقفه الغول وهو مار بجانب الجراج :
- سمعت انك بعت سيارتك
- الحقيقة كانت سيارة رائعة لكنها الظروف
- لا تهتم عندى لك البديل .. سيارتى التي اعتز بها طول العمر .. هدية لك نحن جيران .. والنبى وصى بسابع جار وانت ثانى جار ..
- اين هى .. اجربها ..
- يارجل انها امامك بالجراج منذ خمسة اعوام لا احركها من من موقعها منذ حادث كسر ساقى ..
- وافقه متحرجا بهزة من راسه فحياؤه يمنعه من من احراج جاره بقوله : حقيقة لا اذكر استطرد الغول يدق بكلماته على اذنه :
- هاهى ذى امامك ندخل الان للجراج ونريح عنها التراب ثم تسمع بالصلاة على النبى تغريد محركها فور احضار بطارية من عند كهربائى السيارات وقليل من البنزين من المحطة
- توكلنا على الله ..
- عظيم طالما وافقت فلتذهب إلى بيتى ونتم الاجراءات فى ثوان كان الغول يجره إلى داخل شقته ويقدمه إلى اولاده وهو منقاد فى استسلام
- عمكم يااولاد سيشترى سيارتنا ..
- كشفت زوجته عن اسنان مشوهة :
- هدية لك .. الغول يعزك يا استاذ لقد رفض من قبل فكرة بيعها ولكنك جارنا والجار اولى ..
- مبروك ..
- بارك الله فيك ..
- هاهوذا عقد الاتفاق .. وهناك مفاتيح السيارة ..
- قالت زوجة الغول تستعجل خروجه :
- مبروك يااستاذ شرفتنا ..
- وجد نفسه على سلم البيت وحيدا وقد انتقلت الاف جنيه الاخيرة التي ابقاها من ثمن سيارته التي باعها اللا جيب الغول .. كيف ؟ لايدرى ؟ واشترى السيارة وهو لايدرى ما شكلها .. لكنه جار ومن المحال ان يخدعك ا اين سيهرب من مواجهتك لو ان السيارة خربة ؟ .. لاتظلم الغول حقيقة افعاله وتصرفاته لا تعجبك لكنه قبل هذا وذاك جار
- ولقد قال رسول الله صلوات الله عليه وسلامه " لقد اخذ جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه" وهل لاحد ان يذكر كلام رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وينكث فيه ؟ثم لماذا تستغرب منه رغبته فى ان يبيعك سيارته لانها ممتازة وانت رحت تتوسل لزميلك بالعمل ان يشترى سيارتك بل لقد بعتها له لانها جديدة باقل من السعر الذى كان بمقدروك ان تحصل عليه لالشئ الالايمانك بان الاقربون اولى بالمعروف

- هز مجموعة المفاتيح فى يده فاصدرت صوتا اعانه على ان يخرج من دوامة افكاره وحالة الذهول التي انتابته من سرعة اتمام عملية الشراء للسيارة التي لاتسطيع حتى ان يتذكر اين تقف بالجراج ؟؟ ولكن ماباله يجعل الامور صعبة هكذا ؟ الجراج امامه .. والسايس سيرشده لمكانها و المفاتيح بدلا من كل تلك الهواجس الشيطانية
- نظر اليه السايس نظرة طويلة وهويساله عن مكان سيارة الغول وحين علم انه اشتراها تحولت النظرة إلى مزيج من الاشفاق و الحسرة ولما ساله عن رايه اجاب فى حسم :
- انا لا شان لى بالغول يا استاذ حتى سيارته هذه كانت لا امد يدى اليها انه رجل كثير الشكوك سليط اللسان والبعد عنه غنيمة
- طلب من السايس ان ينظيف السيارة وخرج هو يسعى فى طلب بطارية وبعضا من البنزين من كهربائى السيارات المجاور لبيته
- لم يستغرق تشغيل الموتور وقتا .. وحين بدا الدوران وضح لاذنه الخبيرة انه ليس موتورا سليما كما قال له الغول وهمس لنفسه مهونا :
- لايهمنى الامر كثيرا فاستخدامى لها سيكون لمدة ايام قليلة ثم فى اجازات العودة من السعودية باذن الله اصلح الموتور
- دخل إلى السيارة فانتابته كابة شديدة فالفارق جد كبير بين سيارته التي باعها وبين هذه التي بداخلها الان
- عاد يهون على نفسه الامر فتلك سيارة بالالاف اما هذه فسيارة بالف واحدة طلب من السايس ان يصعد إلى جانبه ليجرب السيارة فقد تتوقف به وفى هذه الحالة سوف يحتاج لمن يساعده فى دفعها
- تحركت السيارة وهى تصدر اصواتا وفرقعات تتصاعد من اسفلها واعلاها وماهى الامتار حتى وجد السايس يطلب منه فى فزع ان يدعه ينزل بعد ان لاحظ ان الفرامل لا تعمل وفى نفس اللحظة اكتشف هو انه سقط صريع خدعة كبرى من الغول
- اوقف السيارة عن طريق ملاصقتها للاحتكاك بالجولنب المرتفعة من الافريز ونزلا: هو والسايس ليعودابالسيارة إلى الجراج دفعا بالايدى وفى غيظ طلب من السايس ان يعيدها إلى مكانها القديم
- سار هو إلى الشارع الرئيسى حيث تتوسطه حديقة وتخير لنفسه مكانا بعيدا على احد المقاعد الخشبية ..
- هكذا عود نفسه ان لا يناقش الامور وهو منفعل اخرج العقد من جيبه وراح يقرا متاملا الكلمات التي مر عليها دون تمعن فوجد ان هناك شرطا جزائيا ينص على انه اذا رغب فى ان يعيد السيارة للغول عليه ان يتنازل إلى البائع عن ثلاثمائة جنيه
- قال لنفسه : لا فائدة لاننى لااتعلم ابدا ..
- : لماذا لم افرا العقد جيدا ..
- ورد ضميره بهدوء : لانك تثق فى جيرانك
- قال معاتبا : ولكن الحيطة واجبة
- وجاءه الجواب مريحا : وهل يمنع الحذر وقوع القدر ؟

- تخطى مرحلة العتاب ، ووجد قراره الاصوب فى ان يعيد السيارة للغول ويترك الثلاثمائة جنيه اذا اصر على تنفيذ الشرط الجزئى فهذا انسب لان السيارة جمعيها لا تساوى نصف هذا القدر من المال
- كان الوقت غروب و الشوارع لم تضا بعد بانوار الكهرباء فامتلا الجو بضبابية تبعث الكابة فى النفس ورغم مرور السيارات وحركة المارين من حوله الاانه كان يشعر وهو متجه إلى بيت الغول بوحدة موحشة فلقد كان منعزلا تمام الانعزال عن الحياة التي تحيط به
- وحين دق باب شقة الغول استقبله مكشرا عن انيابه :
- خيرا ؟
- قال بهدوء خير ان شاء الله هاك العقد و المفاتيح وارجو ان ترد لى السبعمائة جنيه ازداد وجه الغول اكفهرار وتناول معطفا كان بجانبه وهو يقول مهددا :
- اراجع السيارة اولا فلعلك قد اتلفت شيئا منها
- ساله بهدوء :
- وهل كنت قد سلمتها لى ؟
- خرج الغول من البيت وهو يغلق الباب بعنف مزمجرا:
- هذا خطئ لاننى وثقت بك ولكن العقد به نص على ان السيارة سليمة تماما وليست بها اى عيوب وانا متمسك ببنود العقد
- كانت السيارة ترقد فى موقعها القديم وقد تم تنظيفها فبدت لامعة مماااثار الغول فصرخ مهتاجا :
- ماذا فعلت بسيارتى ؟ لم يكن هذا لونها اظنك ايضا ادرت المحرك وقد تكون اخرجتها من الجراج وسرت بها فى الطريق
- زاد الامر عن حدود المعقول انفلت لسان سايس الجراج دون مقدمات :
- سيارتك كما هى كل مافى الامر ان الاستاذ دفع لى جنيهان لانظفها
- عقب الغول فى تهديد واضح :
- اسمع صوت حشرات تئز من حولى الاحسن ان تنكتم يا كلب والارميت بك فى السجن يا لص
- فى كراهية عمقية هاجم السايس الغول فى صراخ هيستيرى :
- لست لصا والمنطقة كلها تشهد من الذى كان يسرق اطارات سيارة الشرطة الجديدة ويستبدلها باطارات سيارته القديمة
- تقافز الغول حول نفسه وقد انتفخت اشداقه مرددا فى عنف :
- انا يا كلب انا يا كلب
- وجد ان الموقف سيتجه إلى غير صالحه فطلب راجيا من السايس ان يصمت وان يترك الغول ليطمئن على سلامة سيارته فهذا حقه
- وبعد ان دار الغول حول السيارة اخرج من جيبه مجموعة من الاوراق المالية ودفعها إلى يداه مهددا :
- هاك خمسما ئة جنيه لاننى تصرفت فى باقى المبلغ

- تردد هو مشدوها غير متصور انه فى لحظات فقد خمسمائة جنيه لكن السايس اختطف النقود من يد الغول بعنف ووضعها بكفه وهو يدفعه بعيدا عن متناول يدى الغول وهمس فى رجاء متوسلا :
- خذها يا استاذ فلو عادت إلى كف الغول لن تنال شيئا .. انت رجل طيب وعوضك على الله لايدرى تماما ما حدث او كيف وجد نفسه ممدا فى فراشه وقد جافاه النوم يبحلق فى سقف الغرفة وكل شئ يطوف فى دائرة تحيط به من كل جانب انه لايسطيع استيعاب ما حدث ولا كيف حدث ؟ فاين خشية الناس من الله ؟ اين الحياء من بعضهم البعض ؟
- ثم كيف فلسف الغول لنفسه ان يقبل مالا ليس من حقه ؟
- الم يكفه انه غشه وخان الامانة وغدر بجاره ؟
- مرت سيارة بالطريق الذى تطل عليه نافذة الحجرة فاخترقت انوارها الظلام ورسمت على السقف مستطيلات ضوئية بيضاء وسمع هو بكل وضوح صوت مقرئ يتلو قول الله تعالى " ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم " لايدرى من اين جاءه الصوت لكنه جعل السكنية تحتضن مشاعره المضطربة فتذهب عنه الروع وتلفه بسلام جعله يستغرق فى سبات عميق
- حين قص على المهدى الرهاوى ما حدث قال ببرود :
- لقد تعجلت الامورفما حاجتك لشراء سيارة ؟
- اصل بها إلى عملى فانت تعرف انه ليست فى منطقتنا مواصلة عامة تمر بالقرب منه
- امر هين ومشكلة محلولة تستطيع ان تتفاهم مع سائق الوزارة الذى يحضر إلى بيتى تعطيه مبلغا من المال شهريا وتركب معنا
- افكر فى الامر لكن اليست لديك اخبار من السعودية عن قرب وصول المندوب
- لا ليس بعد
- لقد مرت الايام العشرة التي حددها ولم يحضر
- ياصديقى هم حبالهم طويلة والوقت لديهم لا قيمة له ثراء وراحة بال فعلام العجلة
- هل تسمح لى باقتراح
- تفضل ..
- اعطنى رقم هاتفهم وسوف اطلبه على اى تليفون تريد بالمنزل او الوزارة
- لا..لا داعى لتعبك سوف اتصل بهم انا فى الغد لدينا هنا نظام الاتصال الدولى ولكن باجر وهنا سمعت طرقات خافتة على باب المكتب ثم اطل وجه صالح قريب الشيخ مترددا فلما لمحه جالسا هلل :
- اهلا بصديقى رب صدفة خير من الف ميعاد
- تنقل بصر المهدى متشككا بينهما وهو موقن ان هناك اتفاقا مسبقا بينهما وخطة مرسومة للقاء بمكتبه
- دخل صالح مهلا كعادته :
- كنت فى زيارة لزميل دراسة بقسم المعلومات وقلت اتى بالمرة لاحيئ الاستاذ وما ان انتهى صالح من كلامه حتى استغرق فى تقبيل المهدى محييا ثم انتقل يقبله بينما حسم المهدى الموقف قائلا لصالح :

- صديقنا المشترك اقترح على ان اخاطب المسؤلين بالسعودية وارى ان تـذهبا معـا لطلـب مكالمـة من حافظة الارقام ثم ناوله صالح قائلا :
- هاكم الرقم
- وخرج الاثنان معا من مكتب المهدى الرهاوى وهما فى غاية العجب ولكن صالحا قال : صـديقك المهدى هذا رجل شكاك لقد ظن اننا دبرنا هذا اللقاء
- غضب لغضب صديقه وقال :
- اولا هو ليس بالمعنى المفهوم ولكنه جارى واولاده اصدقاء اولادى وثانيا لـيس هنالـك اى ماخـذ علينا اذا ما اردنا السؤال للاطمئنان على سفرنا خاصة وقد مللت الانتظار كل يـوم بالسـاعات فى الشارع حتى اوقف تاكسى يقبل نقلى إلى عملى وتاكسى اخر لينقلنى إلى بيتى
- زوجتى لا حديث لها الاعن السفر وترتيباته حتى اربكت حياتى اليومية
- اذن نحسم الامر ونطلب له المكالمة
- حقيقة سوف يكون مؤسفا ان لا نسافر خاصة وقد بعـت ذهـب زوجتـى واشـتريت احتياجـات السفر
- ياصالح لا تنقط من رحمة الله
- ونعم بالله ..
- انتظر كثيرا ان يتصل به المهدى ليخبره بنتيجة اتصاله بالسـعودية دون جـدوى وتقـافز هـاجس يؤكد انه لا سفر ولا شئ من هذا سوف يتم
- ولم يجد امامه غير ان يلجا إلى الصلاة وقراءة القران ثم صلى صلاة الاستخارة قبل ان ينام فـراى فى نومه رؤيا مخيفة لقد وجد نفسه محاطا بثعابين من كل الوان والاحجام
- فى الصباح علم من زوجته ان زوجـة المهـدى تحـدثت اليهـا وقالـت ان زوجهـا قـد اخبرهـا بـان اصحاب العمل بالسعودية اخبروه بان وصولهم سوف يتاخر لبضع ايام نظرا لحلول اجازات عيد الفطر
- وان هنية نصحتها حين علمت بان قريب الشيخ قـد بـاع مصـوغات زوجتـه بـان تنصـح صـالحا باستثمار الثمن فى تجارتها بدلا من تبديـده فى مشـتريات لا نفـع منهـا لان السـعودية بهـا كـل الاحتياجات
- قال لزوجته فى غير تحمس :
- لقد اصبحت صديقة لزوجة صالح تحدثى اليها وهم اردى بظروفهم
- وخرج إلى عمله غير متحمس لاى شئ كان الهاجس مازال يلح عليه وهو يسير فى الشارع ويطن فى اذنه هاجس يقول : لقد بعت سيارتك ثم ها انت لـن تسـافر ونقـودك قبلـت ايـداعها فـما المخرج ؟؟
- رد على هاجسه فى الم :
- اذن لا مناص من بيع مزيد من الارض التي ورثتها عن ابى ولن ابتعد بهـذا التصرـف عـن كلمـة ابى رحمه الله فلقد عاش يؤكد ان المال يهبه الله لنا لكى نسعد به ولكـن لـيس عليـه ان ينـدفع كفاه ما باع من ارض لقد ورث عن ابيه تعليما وتربية ومالا وارضا فلماذا يبدد الارض وحـده ولا يضع بحسبانه ان هناك ابناء له يحتاجون لمزيد من الانفاق وسوف يحتاجون مستقبلا لما يساند بداية حياتهم العملية ولن يجدوا شبرا من الارض

- اجابه ضميره فى رضا :
- اذا كان قلقك من اجل اولادك فالغد لا يعلمه الا الله ولقد ولد سيد الخلق صلوات الله عليه وسلامه يتما ورغم هذا عاش وكان اعظم عظماء الدنيا والاخرة وبلا مال ورث له او اب سانده هز راسه بشدة فلقد كادت الافكار تصدعه صوت صديقه صالح
- يهلل قائلا :
- حسنا ان لحقت بك لقد ذهبت إلى بيوت فاخبرت انك خرجت منذ مدة
- صافحه بحرارة بكلتا يديه وكانه يصبره مندوبهم
- زوجة المهدى اكرمها الله اتصلت بنا واخبرتنا بامر المكالمة سيدة طيبة صالحة بارك الله فيها .. تخيل .. لقد ابغلتنا بقلقها بشان بيعى لذهب زوجتى قالت انها تشعر والاستاذ مهدى بمسؤليتها عن ما حدث لذلك نصحتنى باستثمار باقى الثمن فى تجارة لاقاربها تدر ربحا وفيرا
- توقفت احدى سيارات التاكسى امامهم جذبه صالح واركبه بجانبه وهمس بعد ان شكر السائق :
- لو سمحت كورنيش النيل ..
- واستطرد صالح وهو يعتدل فى جلساته :
- لقد جئت للحاجة هنية بكل ما تبقى من ثمن بيع ذهب زوجتى واصرت على ان تحرر لى ايصالا بالمبلغ وابدت سرورها لسرعة قبولى لنصحتها لان العائد من استثماره سوف يكفى للانفاق على البيت وبهذا يتحقق حلمنا فى الحصول على شقة اكثر اتساعا من شقتى التي ضاقت بالعيال
- مرت ايام عيد الفطر بطيئة متثاقلة وانتهت العطلة وعاد هو وزوجته واولاده متطفلين على سيارة احد اقاربه كان فى زيارة للقرية
- كان التالفف واضحا على صاحب السيارة وكان هو لا يفتا يردد لنفسه : سامحنى الله انا من فعلت هذا بنفسى وبعيالى وقبل ان يكتمل دخولهم إلى البيت كانت زوجته قد سبقت الجميع تدير قرص الهاتف وتعاود نشاطها مع هنية سعيا لاكمال مهمة السفر للسعودية
- ونبض قلبه بالمودة وهو يسمعها تهمس :
- ياهنية حرامن حمسى زوجك كى يعجل بسفر زوجى ؟
- لقد اصبح كثير الشرود والحقيقة حاله لا يسرنى ..
- ولا يدرى ماذا قالت هنية لزوجته حتى جعلتها تستحلفها مستوثقة ان تعيد عليها ما قاله لها زوجها ثم وضعت سماعة الهاتف واقبلت عليه وهو يخلع سترته تمنعه من الاستقرار فى خلع ثيابه :
- انتظر انه عيد سعيد الاستاذ المهدى فى انتظارك الان انت وصالح هى ايضا فرصة لكى تقولا له : كل سنة وانت طيب
- حمد لله كثيرا فى اعماقه شعر بالسعادة تطفو بداخله لتفوق كل الوساوس التي احاطت به طيلة ايام العيد مما جعل امه تسال كلما شاهدته عما يشغل باله وهو يتهرب منها حتى ظنت ان زوجته هى السبب فبدات تشاكسها ولا تحسن معاملتها
- لم تمر ساعة واحدة الا وكان هو و صالح جالسين بصالون المهدى الرهاوى والكحك والشيكولاته المستوردة يحيطان بهما من كل جانب والمهدى يلاحظ بعينيه الكليلتين نظرات الانبهار فى عيونهما فيؤكد فى تواضع خبيث :

- هدايا المحبين .. بارك الله فيهم
- قال لنفسه : لا تحرجا يا استاذ تعرف تماما ان نقودنا جمعيها ذهبت لتستثمر عن طريقك وقريبا نسافر ونهاديك نحن ايضا
- وبعد طول ترقب جاءت البشرى على طرف لسان المهدى الرخاوى مزغردة فى
- اذانهم :
- عليكما ان تجهزا اوراق تعيينكما لتقديم صورها إلى القنصلية السعودية فهذا ضرورى حتى يمكن تقدير الاجر حسب المؤهل والخبرة
- شكراه بصدق ووعداه بان يتم هذا خلال يومين ولن يزيدا واسرعا بالاستئذان والانطلاق حماسه فرفع صوته مرددا :
- لبيك اللهم لبيك
- لبيك اللهم لبيك ..
- ان الحمد والنعمة لك و الملك
- لاشريك لك ..
- ثم التفت إلى صالح يرجوه قائلا فى مودة شديدة :
- صالح ارجوك لا تتوان فى استكمال اوراقك لتكون مع اوراقى بين يدى المهدى خلال يومين
- الفصل الثالث
- بسم الله الرحمن الرحيم " كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون " صدق الله العظيم
- بوادر ومقدمات
- كما ترك الاوراق على مكتب المهدى الرهاوى منذ اسبوع وجدها كما هى فى المظروف الازرق الذى وضعها فيه وفى نفس المكان من المكتب
- قابله المهدى بوجه مكفهر ينبئ عن شر واقع ورغم هذا اراد ان يطمئن نفسه المرتاعة فساله :
- ايها الصديق ما بك ؟
- مصيبة كبرى ..
- استر يارب
- سرقت اموالنا وضعنا
- كل الاموال ؟ !
- زمجر المهدى مؤكدا:
- كل الاموال ..
- وحين واجه المهدى نظرة الشك فى عينيه : فكيف تسرق اموال تعمل فى اكثر من مكان استدرك المهدى قائلا :
- ليست جمعيها بالقطع ، لقد سرقت منا اكثر من عشرين الفا من الجنيهات
- اذن لم تسرق كل الاموال ومن الممكن ان نساهم جمعيها فى سداد ما سرق .. المسلم للمسلم ..
- لا . لا محال .. المهدى اكبر من ان يتسول من احد لقد ابلغت اصدقائى بجهاز الشرطة و ...

- واندفع المهدى يقص عليه كيف انتهز احد العمال من الذين يجددون طلاء حوائط منزلهم انشغال الزوجة والابناء بامورهم اليومية وسرق الاموال من الدولاب و.. و الموضوع الرئيسى- الهدف من الزيارة لم يتطرق اليه بكلمة واحدة حتى انه حين وجد نفسه فى الطريق تساءل مندهشا :
- ماجئت للمهدى سائلا عن اموالنا ولكن الهدف من زيارته ، كان للاستفسار عن ماتم فى امر سفرى وصالح إلى السعودية
- على باب داره وجد زوجته تستقبله نائمة :
- هل علمت بالمصيبة لقد ضاع من هنية مبلغ ثلاثين الفا من الجنيهات هى ارباح المستثمرين كانت معها فى حقيبة بالتاكسى وغفلت عنها ونزلت وتركتها وراءها
- وقص هو لزوجته ماقاله له المهدى بمكتبه عن السرقة ولم يات المساء الا وكان رقم النقود المسروقة قد تضاعفت حتى صار سبعين الف
- وحين وصل الخبر إلى صالح وزوجته روعت وغشى عليها فلقد سبقه خبر اخر اكثر سوءا وهو انهيار المنزل الذى تقيم به اسرتها هو وحده الذى ظل يشغله امر واحد : ما الصلة بين سرقة النقود وبين عدم ارسال المهدى للاوراق التي طلبها لانهاء اجراءات عملهم بالسعودية ورغم عدم وجود سبب مباشر لا فى الموضوع ولا فى التوقيت يمنع المهدى من ارسالها ؟ !
- وليحسم هذا الامر الذى اصبح يلح عليه قرر ان يذهب ثانية إلى مكتب المهدى بالوزارة
- فى حسم شديد " مد يده وتناول المظروف من امام المهدى قائلا :
- استاذ مهدى اعتقد ان الوقت قد اهدر وامر السفر هذا يجب ان يحسم
- تحولت عينا المهدى إلى جمرتا نار وعنفه زاجرا :
- الاترى البلاء الذى ابتلينا به حتى تسال عن سفر وغيره
- لاخالفك الراى فى كون هذا بلاء وابتلاء ولكن الحياة لا يمكن ان تتوقف ما حدث من سرقة له سبيل ، وامر بارسال اوراقنا إلى الجريدة بالسعودية له سبيل اخر ولن اثقل عليك اكثر وكل ما اطلبه ان تملينى العنوان والاسم الذى سترسل اليه الاوراق سوف اتكفل بباقى الخطوات بعون الله
- غضبانا امسك المهدى بالقلم .. وسطر عنوانا واسما استخرجهما من حافظة اوراقه ثم دفع اليه بالورقة بعنف شديد حتى ان احد اصابع المهدى مزق الورقة وهى تستقر بكفه وما جعل شعوره مضاعفا ومؤلما ان ظفر الاصبع مزق جلده
- لم يعقب انسحب من الحجرة فى غيظ كظيم
- لا يدرى سببا لكل تلك الكابة التي سيطرت على مشاعره حتى تمنى لو يرمى بالورقة إلى ارض الطريق التي حولتها الامطار لاوحال ولكن الامر ليس امره ولا المسئولية مسئوليته وحده فهناك صديقه صالح وظروفه المعيشية الصعبة وامنياته الخاصة التي تتراجع امامها مصالحه هو واحلامه ، فهو يتمنى ان يعيد صديقه إلى السعى فى طلب الرزق تكسبا لمال يستطيع به توفير القوت والعلم لاطفاله ويساعده به اسرة زوجته التي نكبت فى مسكنها وليرد بعض الجميل بعدما ساعدوا اطفاله كثيرا
- قبضت اصابعه على الورقة بشدة وتواصلت خطواته قوية فى اصرار تقطع الطريق متجها إلى الجانب الاخر باحثا عن اى مواصلة قريبة تعيده إلى داره فكل ما يحيط به يجعله مستثارا:

- ضجيج السيارات وتدافع الناس فى سيرهم .. حتى نسمات الهواء الباردة التي تلسع عظامه مخترقة ك ما تحصن بداخله من ملابس ثقيلة ..
- هو يتمنى ان تختفى ، بل ان يطير بعيدا بعيدا عن كل هذا الوجود ليصبح وحيدا فيستطيع ان يتامل ما طورد به من احداث ووقائع هى فى حقيقتها مجرد بوادر و مقدمات لما سوف تتمخض عنه الايام القادمة من رجم الغيب الذى لا يعلمه الا الله
- كان صراخ هنية يخترق سماعة الهاتف ، ويخترق الهواء المحيط ويدمر سمعه :
- جيلان المجرمة هى التي سرقت اموالنا .. لا احد غيرها ..
- قالت زوجته فى حزن عشيش فى داخلها منذ سمعت بالسرقة وانعكس على نبرات صوتها :
- ولكن الاستاذ مهدى قال ان احد العمال هو السارق .. وانت يا هنية قلت لى من قبل انك نستيى النقود فى التاكسى تلعثمت هنية للحظات فتموج الصوت وتقطع وهى تقول :
- كلام كله كلام .. اسمعى .. لو كنت مكانى ماذا تراك كنت قائلة لزوجك رميت المال فى خزانة الملابس المفتوحة ..
- ولكن الحقيقة ان تقول لم تخرج من بيت جيلان .. هى سيدة شريرة تحقد على . كانت تريد اختطاف الاستاذ مهدى .. هى تحبه
- زاد وجه زوجته شحوبا فرد اصعبه واغلق زر الصوت ورفع سماعة الهاتف وناولها لزوجته وابتعد هو خطوات حتى لا يصل صوت زوجته اليه ، فلقد يقين بكونه فى هول عظيم
- يا الله .. ماهذا الذى تافك به زوجة المهدى ؟
- كيف ترمى المحصنات هكذا ببساطة بسوء القول ؟؟
- لم يعد يطيق اللحظة وتفجر الغضب على لسانه بركانا وصرخ فى زوجته :
- اتركى سماعة الهاتف . وكفاك لغوا ..
- فى لعثمة استاذنت زوجته من هنية ووضعت سماعة الهاتف مكانها وهى ناهلة للحال التي صار اليها زوجها .. متسائلة بينها وبين نفسها عن سر ثورته المفاجئة و الصارمة تلك
- هل هو المال الذى ضاع ؟؟ .. ام هناك امر جد فى شان سفره ؟؟
- اخذت تنظر اليه فى تراقب لما ستنتهى اليه ثورته من ردود افعال . ولكن ما صدر عنه اكثر غرابة فهو بعيد كل البعد عن ما خطر ببالها فلقد خرج صوته هادئا :
- هل عثمان ابن عمى مازال فى القاهرة ؟؟
- نعم .. سالت زوجته وقالت انه سيسافر إلى عمله بالسعودية غدا .. ووعدتهم بالزيارة اليوم .. ولكن ..
- قاطعها قائلا :
- اذن .. ساسلمه اوراق التعاقد هذه فيطير بها إلى السعودية ليسلمها بيده إلى المسئول عن الامر بالجريدة .. والاسم و العنوان اخذتهم من المهدى .. وبهذا نحسم الليلة هذه القصة التي طالت احداثها
- تامل بديع صنع الله فى السموات .. وهو يتابع ببصره شهابا ثاقبا يندفع مارقا فى الظلمة وتذكر شكل السماء هناك فوق بيت الله الحرام . شئ اخر غير كل ماراى من سموات فى بلدان ودول متعددة ..

- فجاة قطع عملية صوت رنين جرس الهاتف تاملاته وجاءه صوت عثمان واضحا كل الوضوح ورغم الاف الكيلو مترات التي تعبر فيها الصحارى و الجبال ومياه البحر الاحمر وصخور شاطئه الجهمة ثم الوادى ليصل ما بين مكةالمكرمة و القاهرة :
- لقد ذهبت إلى العنوانوالتقيت بالاخ الدارى والواقع اننى اصبت بالحرج الشديد حين ابدى الرجل دهشته من المكتوب بالرسالة وقال لى وهو يرد الاوراق ياعثمان لابد وان الامر قد اخطلط على الاخ المهدى الرهاوى لاننى لم اخاطبه في حاجة جريتنا لعاملين جدد فالمور مستقرة وتعاقداتهم لسنوات قادمات لم يعد يسمع شيئا والسءال الذى برق في الافق يرتسم الاف المرات متوهجا وسط ظلمة الغرفة التلى نام بها لماذا فعل به المهدى ما فعل

لماذا لماذا اكل ماضاع من وقت هباء

اكل ماانفق من مال ذهب جفاء

ثم هل حقا ضاع الحلم الذى تجسد مع مرور الايام ومع الافاضة فيه بالحديث حتى كاد يصبح جزامن الواقع الملموس البيت المفتوح هناك في الرحاب المقدسة حيث تتلاحق الخطوات حثيثة مشتاقة تلبى كل نداء للصلاة بالبيت العتيق

والاهل وزياراتهم ورفع معانات الغربة والشوق لرايا ديار المولد وحتى ارتمى فوق فراشة اخذت النسمات تحرك ستائر النافذة المغلقة باصرار وانساب صوت المئزن ملائكيا يدعو إلى صلاة الفجر ويجعل النوم كريها على النفس فاالصلاة خير من النوم وان يحظى بمكان الروضة بمسجد الحبيب المسافة بين دارى وممبرى روضة من رياض الجنة الامر يستحق السعى كل السعى يسرع إلى جلبابه فيدخل فيه ويندفع يوقظ رفقته فيجدهم هم يتسابقون إلى السلالم فيعبر الشارع معهم تتقافز خطاهم في سعادة ليذوبوا مع الداخلين إلى ساحة الحرم النبوى وحين تنتهى الصلاة يتجه إلى المحراب ليصلى ركعتين ويعتدل بعد السجود الاخير ليقرا التحيات فاذا بشيخ ابيض الملبس ابيض الذقن معمم يمسك بكعب ساقه اليمنى التي لا يستطيع ان يستقر فوقة بفخده نتيجة لجراحةقديمة خلفت هذه العاهة التي اعتادها ويضع القدم اليمنى فوق القدم اليسرى وصوطه العطوف يصل اذنيه واضحا رغم استغراقه واضحا في الصلاة هكذا كان يصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ان انتهى من صلاته حدثت المعجزة فها هى ذى ساقة التي ظلت لاكثر من عشرين عاما لا تستطيع ملامسة فخذة تلامسها وليست وليس بها اى من تلك الآلام التي كانت تطارده كلما حاول ثنيها

خر ساجدا لله شاكرا له أنعمه وقد انثالت دموعه مكفرة في صدق المخلصين عن ماضاع منه من لحظات الغفلة التي انتابته لسنوات متفرقة من عمره لم يحظ فيها بمتعة القنوت لله وحين رفع كفه ماسحا ما تسقط من دمع فوجئ بالوسادة وقد ابتلت فلم يملك الا ان تنهد مناعماقة وعدل من وضع راسه

سامحك الله يامهدى لماذا فعلت بى كل هذا بل امرى يهون امام نور الرضا واليقين بان الامر جميعه بيد الله غاالهم افرغ على صديقي صالح واسرته صبرا نظر اليه صالح بعد ان استمع إلى كلامه في صبر جميل ثم تنهد وخرج صوته هاذا يفيض بالصدق قائلا كل ماكان يا صديقى جزاء وفاق لنا نستحقه تعالى نتامل ما نحن فيه فجميعه يؤكد ضعف اليقين عندنا اثار حماثه منطق الحق فاانطلق يكمل حديث صالح ليغفر لنا الله وحياتك ان هذا اللذى قلت لهو عين الحق بل اضيف اليه انه بالنسبه للمال الذى اودعناه عند المهدى الا عن طمع وشك فاى منطق ذاك الذى يقبل عن قناعة بان هناك تجارة تربح اكثر من نصف راس المال كل عام اللهم الا تجارتنا مع الله سبحانه وتعالى فانها تحقق ماهو اكثر

من ذلك اضعافا مضاعفة وما كان مافعلناه تجارة لله ولله وصل اليهما صوت زوجته متسائلة الا تقل لصديقك بانك لم تنم منذ يوم امس تنهد صالح وهو ينهض بلا حماس او اقبال على الذهاب فلقد شعر بان صالح مانهض الا لانه ادرك بان وجوده اصبح ثقيلا وان عليه ان يغادر مرغما لذلك فقد قرر ان يدعوه للبقاء معه قليلا

اجلس اجلس ياصالح حتى نتدبر الامر فالنوم ياتى لاصحاب البال الخالى استرخى صالح في جلسته وقال لقد ةكلت امرى لخالقى لاكن ابتلائى العظيم في زوجتى انها مثل اكثر النساء تتعلق بامور دنياها وتتخيل ان بيدها اصلاح الكون وتدارك ماحدث والتخطيط لما هو اتى ولذلك فهى تروع من احداث الحياة ثم انها تعانى من مشاكل في الضغط والدم والعين وهذه جميعها تسوء اذا ماسائت حالتها النفسية انت تعلم ياصالح اننى لو كنت املك شيئا لقدمته لك فاحساسى بالذنب تجاهك قائم فلقد كنت من عرفك على المهدى واسرته

ياصديقى انك ما قصدت من وراء ذلك الا خيرا ولك عنه حسنة اما المهدى فحسابه على الله والان اتركك في امان الله قاقد خفف حديثى اليك من هموم نفسى واستبان الطريق امامى بالنسبة لزوجتى هه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته هذه المرة نهض صالح في اصرار والهم متمكن من كادل حركاته حتى انه صار يستحثه على الاسراع نحو باباالخروج

ولماذا لا وقد ادرك حرج زوجته وضرورة وجوده إلى جوارها وهى على ماصارت اليه من بلاء حين راه يختفى منطلقا إلى الخارج بخطوات عجلى تامله طويلا وهممهم سبحان الله له في خلقه شئون اهذا هو صالح الذى اعرفه واعرف عنه انه يترك بيته وزوجته واولاده اياما طوالا دون سؤال او مال او حتى اخطار سبحانك يامصرف القلوب كانت السماء ليست كاى سماء شاهدها عبر زياراته لدول العالم سماء صريحة صافية سماء خصة جدا فهى التي تظلل بيت الله واول ماسس البشر لعبادت الخالق الزوار يطوفون وهو بينهم لايستطيع ان يتحمل كل ذلك الذى كاد شعاعة ان يفجر قلبه فوضع يده على صدره وكانه يخشى ان يحطم القلب عظامه المتقافز خلف الضلوع لفت نظره شاب بهى الطلعة يرتدى الملابس الاوربية يقف بجانب باب الكعبة متعلقا بالاستار باكيا جائرا بلغة لم يفهم منها حرفا لاكن الضراعة التي كان عليها والدموع التي تفجرت من عينيه جعلته يدرك بانه في ازمة يضرع لخالقه ان ينقذه ويجره منها ويدفعها عنه لايدرى ماحدث لاكنه وجد نفسه ينعطف من بين جموع الطائفين ليقف غير بعيد عن الشاب وقد جاشت نفسه بكل مشاعر التعاطف والتاخى متعلقا بالاستار داعيا الخابق والبكاء ياكل كلماته المتضرعه فلا تبين مخارجها ولاكن لايبلى فالله اعلم بما في القلوب وكل ما يتمناه ان يكون له ولو قدر ضئيل من الرجاء عند خالقه فيضم صوته لصوت ذلك المسلم الضارع ويغسل بدمعه لو استطاع كل تلك الالام وذاك الاسى الذى اظهرته ملامحه الجمبله التي ابدع

ولقد أحس لحظتها ان الوجود قد تفجر نورا ربانيا من حوله فاق ضوء الشمس وتخطئ كل ما عهد فى دنياه من انوار نور كذلك الذى جعله شعاعا منذ سنوات طوال عندما نام وحيدا فى دراهم فى ليلة من ليالى النصف الاخير من شهر رمضان ثم وجد كيانه ينساب نورا اخذ بكل مشاعره فوقف يتردد صوته فى جوانب السموات و الارض التى اشرقت بنور ربها داعيا الخالق : اللهم اهدنا ..

ثم نهض من نومه ينتفض جسده وتنمهر دموعه من روعة المشهد وعظمة اللحظة ورهبتها
وارتفعت نظراته ضارعة ان اللهم اغفر وارحم فانت الاعز الاكرم ..

الحمد لله على سلامتك

قالها الرجل الطويل الذى كان منحينا عليه وادرك من نظرة واحدة الى ما كان يجمعه من حوله من معدات وادوات انه طبيب

تعجب للحظات ما كان به من مرض ولم يشعر للحظة باى اواجع او اعراض تشى بمرض لكن اذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ، همهم شاكرا :
الحمد لله سلمت يا دكتور
وحين دار بصره فيما حوله وجدا اولاده يحيطون به عيونهم حب وقلق ودموع
: يا سبحان الله .. ماذا حدث لى . لقد كنت .. كنت اين ؟ .. وماذا ؟
المه راسه فرفع ذراعه واعتصر جبهته باصعبه . همس الطبيب مهونا :
لا تجهد فكرك كثيرا ولك ان تستريح كما يحلو لك . لقد كتبت لك اجازة مفتوحة وسوف اخطر المجلة بذلك .. هه .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
ارادا ان يرد التحية باحسن منها ولكنه لم يستطيع فلقد كان لسانه متصلبا داخل حلقه
نظرت اليه ابنته وقد فاضت دموعها ونادته بصوتها الطفولى :
ابى .
سمع صوتها واضحا حييا . اراد ان يطمئنها :
انا بخير يا حبيبتى .
.. وان يقص عليها كيف انه ليس يائسا من تحقق حلمه الذى شاركت فيه للحظات كثيرة فيحلمان برحليهم الى ديار الحبيب حتى انهما كانا يرددا معا نداء التلبية للعمرة و الحج ثم يفاجئا سائلا :
هل تستطعين قولها وحدك يا منة الله اذن قوليها
وانساب صوتها حنانا فى اذنيه :
لبيك اللهم لبيك
لبيك لا شريك لك لبيك
ان الحمد و النعمة لك والملك
لاشريك لك
وانسالت دموعه من عنينه المغمضتين وسمع صوت زوجته حانقا متهدجا :
لعنة الله عليك يا مهدى انت و زوجك لقد سلبتمونا اموالنا واحلامنا
شعر بانه يتنهد فى اشفاق شديد عليها مشفقا من تفكيرها هامسا لها بكلمات لم يسمعها الا ربه :
ما حزنت من اجل المال ، فالمال مال الله ، يؤتيه من يشاء ويمنعه ممن يشاء ، ولكن كل هذا الخداع من بعض جيران الدار وشركاء اللقمة والمؤتمنين على حمل الرسالة هو ما امض قلبى واحزننى واخافننى لا على نفسى ولكن على دنيى
كان اولاده يتاملونه مشفقين دامعين وهو لا يسطتيع حراكا يريد لو انه يمسح عنه دموعهم فهم براء من كل الامه ولكنها الام تشملهم بشرر اهلها ممن لا يخافون عهد الله
تنهد فى اسى وتمتم باكيا :
اللهم الطف بنا يا لطيف
واجهش كل المحيطين بالبكاء فكانهم يشعرون بانهم يودعونه ويسمعون منه اخر ما سيقول بلسان اهل الدنيا .
بغريب ان يسعى المهدى وقد تخبطه الضلاللطلاق هنية بل هو ذا يعلن امام المحقق هذه السيدة لاشان لى بها

وهاهى ذى ورقة طلاقها تشهد بانفصالنا نظر المحقق طويلا ثم تهكم منه قائلا
وهادل تظن انك اول من فكر في هذه الحيلة تهربا من المسؤلية حقا هو تصرف الماكرين ولاكن الحق يرد عليهم فينقلبو خاسرين ان القانون يامهدى يعرف انكزوج لعا ايانـدم ان كانت تجمع الاموال وتعددها ولا يهمنا بعد ذلك ان كانت هى الان زوجة لك اولم تكن ولهاذا فانت متهم مثلها الان ولايتك عليها في فترة اكل مال الناس بالباطل كانت قائمة وثابتة
قال المهدى مدافعا في غفلة ولاكننا كنا نبغى خيرا بجيراننا هى السوق ورغم كل شىء نرجو ان تتاح لنا فرصة عام او عامين للتصالح مع الجيران على نفس سخريته قال القاضى وهل تامل في فكاك مالك اليوم من مهرب لقد سقطت في هذه المسالة واحاط بك سرادقها وسوف اصدر الان حكما بمنعك واسرتك من السفر خارج البلاد
مع تحديد دائرة اقامتك ولك من الوقت شهران فقط تدبر فيها امرك وترد على الدائنين اموالهم خرج المهدى ويده في يد همية عائدين الى بيتهما مصم الغول شفتيه وقال صارخا هاهما المطلقان سمن على عسل محمد اسماعيل صحفى زميل هكذا قدم نفسه اليه في مكتبة في المجلة التى يعمل بهاناملـه نامل من يرى شخصا للمره الاولى وقد استقام جسده الممتلىء على المقعد المواجه وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة مشرقة احاطت بعا ذقن معتنى بامرها رحبت كلما تهبه صادقا
مرحبا بك يا اخ محمد
استطرد الضيف بعد لحظة قائلا سمعت بما اصابكم من ضلالة المهدى فجئت مواسيا وموضحا لامور لاتعلمونها عن ذلك الدعى الذى اصبح سبة في جبين الدعوة والدعاة ساخرا اكمل هو ليس المهدى وحده مما يحزن ان اسمع منك ومن غيرك انتشار الضلالة بين من لهم سمة رجال الدين ولاكن اعلم ياخى هداك الله ان الإسلام لا يعرف الكهنوت ولا يفضل أعجمي على عربي ألا بالتقوى هي مخالفة الله وخشيته في السر والعلن فلا تغرنكم المظاهر لان من يحتوى حشاه صور الشيطان يجب ان يراه الناس ملاكا قال هو معتزرا اسف ياخى ان كان قد صدر عنى مايسيء حاشى لله ولاكن اردت ان اوضح امرا مشاعا بين اهل الزمان ولو كان بك مايسيء ما جئت اليك اهلا بك ومرحبا شكر الله لك ثم في عودة للجادة وبعدا عن تبادل التحيات وبعد سكوت قصير قال اردت بمجيئى ان اوصل اليك معلومة خامة قد تفيد في التحقيقات مع المهدى وهى انه قد جاء الى شيخى المتولخال صالح نعم جاءه باكيا او متظاهرا بالبكاء واعلن انه قد سرق وان المال المسروق لا يملك منه قرشا وان مستقبله كداعية قد ضاع وضيع معه اولاده
فلابد وان القضاء سيرسله الى السجن اذا ماشكاه الدائنون جمع له شيخى مائه وعشرون الف من الجنيهات وطلب منه ان يسارع باعادة المال الى اصحابه
ماسمعنا بهذا ولا رد المهدى زوجته معه الى السعودية وبيده صورة من بلاغه للشرطة الذى يتهم فيه العمال بسرقة منزله وذهب الى تجمعات اهل الخير فسارعو الى نجدته بمبالغ كبيرة لاكن ماذا فعل بها وكيف طاوعته نفسه ان يترك مريضا ولا يقدم له العلاج او اطفالا ولا يقدم لهم العون ةالكعام او قريبا للشيخ
الذى مد له يد العون فلا يرد عليه ماله او بعضا منه انه شح النفس حفظك الله
احس بلسانه يتحرك بالكلمات وحنجرته تخرجها دفقات دافئة بالصدق من الاعماق
الهم قنى شح نفسى واحاطت به الكعبة وزوارها في العصر الاول للاسلام فاذا بالصحابى الجليل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن ابن عوف يطوف بالكعبة قد كان من اغنى اغنياء المسلمين ومن اكرمهم والدكثرهم اخراجا للصدقات واقبلهم على فعل الخير واكرههم للمال ورغم هذا جميعه فلقد اخذه الخوف من فتنة المال فطاف سبعا وليس له من دعاء الا قوله اللهم قنى شح نفسى افاق من عبق الماضى على يد ضيفه ممتدة في وداع فتناولها بمودة وبعد ان نهض من جلسته قال له وهو يمشى معه خطوات الى الباب اللهم نسالك ان يقينا شح انفسنا اللهم امين

وعاد الى مكتبه يتامل موقف عبد الرحمن ابن عوف وموقف المهدى ومن يكون المهدى من الصحابى الجليل ومن نكون نحن امام من بشره الله بالجنة انسابت دموعه وتهدج صوته متوجعا ياويلك يامهدى بل ياويلى بل ياويلنا جميعا
يوم الحق يوم لاينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم
وكذالك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكرو فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون

- **اهل السوء**

جلس مسترخيا وبدا الاسطى عماد الحلاق يعدل وضع المقعد فيرفعه قليلا
ويرتد بظهره للوراء كثيرا وهو وسط هذا كله لا يكف عن التنهد
ارايت يااستاذ ماصار اليك حال المهدى وبيته الطمع وشح النفس هما هلاك
للبشر الحق ماتقول هو الطمع لان اللواء الغول اخبرنى بان التحقيقات
التى اجراها البوليس حول سرقة المال من شقة المهدى انتهت الى كون السارق
من اهل البيت . قد يكون ابنهم كامل. وقد تكون هنية نفسها ..
ولم لايكون المهدى هو السارق ؟؟
والخمسة جنيهات التى كان يغدق عليك بها يا أسطى عماد .. هل ضاع مفعولها ؟
نفاق ومكر سىء ليعلم منى أخبار أهل الحى سقط حد الموسى على وجهه بعنف
يجتث شعر ذقنه ورأى الأسطى عماد في المرأة التى أمامه غارقا في أفكاره ..
ثم توقف للحظة مفيقا وقال:
أتصدق ياأستاذ .. لقد حسبتها ..
ما هى تلك التى حسبتها ؟
الأموال الت أعطاها لى المهدى بالزياد٘ عن الأجر .. أنهاتزيد قليلا عن المائة جنية. لنقل مائة وعشر٘ جنيهات ..
لقد قررت أن أقدمها لاى صندوق الزكا٘ بالجامع أتصدقنى أن قلت لك أننى أصبحت لا أثق في الشيوخ ..
وهذه هى المصيبة . أن لا تصدق في أهل العلم من العلماء لمجرد أن يفعل
الأدعياء ما يسيىء .
تردد لحظات ثم قال في اصرار:
الأفضل أن أوزع هذا المال بنفسى على من أعرف من المحتاجين .
وقد يكون هناك من هم أكثر حاجة ولا تعرفهم .
أتصدق . معك حق يا أستاذ كل الحق
أذن أجعل بعضا من المال في مظروف، وسوف أعطيك اسم وعنوان واحد من
ضحايا المهدى فهو لمرضه ومسئوليتة كأب أحوج مايكون الى هذا المال.
أذن سيكون له المال جميعة فهو أحق به ممن سواه .
وسأحمله الية فور انتهاء فترة العمل.
وحين انتهى من حلاقته كتب لعماد عنوان الشاب المريض.
التقى في طريق عودته الى المنزل بالغول، كان يجلس أمام أحد المحال وما أن
رأه حتى تقافز يلحق بهها علمت بحقيقة السرقة اخبرنى بهذا الحلاق وهل علمت بان المهدى بدا ينقل بعض الامتعة من شقته ليلا لعله يبيعها بل لانه سيعيش مع اولاده في مكان اخر لقد تتبعت احدى السيارات واحضرة عنوان الشقة الجديدة
انها في نهاية طريق الاهرامات انه يسعى للهرب باموالنا ونسى انه لايضيع حق ورائه مطالب معك حق ياسادة اللواء .

تذكر ماله الذى انتهبة الغول مالك عنده، أم هو الحال تبل ، فأصبح هو المنتهب وبطبيعة المحبين لذاتهم ينطق ، فأمثاله لا يحبون الخير الا لأنفسهم .
وشعر أنة بعيد .. بل شديد البعد عن الغول ، وتذكر لحظة جأر بشكواه لأحد الصالحين من كثرة ما خانه الخلان، لترسم الابتسامة بالطمأنين' على وجه الشيخ الطيب مؤكدا له ما يبتلى به بسلامة الطريق الذى يسير فيه . وبأنه بعيد عن قبضة
أبليس يرسل أليك بأوليائة ينغصون عليك سبيلك ويرمون بالأشواك تحت قدميك حتى تحيد أو تتوقف .
مد يده ساخرة على فمه .. وأخذ بيد الغول مصافحا وانصرف مسرعا الى موعد كان مرتبطا به .
رن جرس الباب، زوجته وأولاده بالخارج ، وعليه أن يفتح للطارق، ترك الكتاب الذى كان بيده .. واتجه الى الباب يعالج مغاليقه ، ليجد الاسطى عماد وقد تقدمت
به السن فجاة ، وجهه حزين، وعيناه تفضان بالدمع وصوته يجهش بالحزن:
هل تتصور يا أستاذ أنه قد مات، وصلت الى مسكنة بعد جهد لأجدهم يحملونه الى مسكنة الأبدى .. أصبح بين يدى الحق .
كم سيكون عقابك يامهدى ..
مشفقا جذب الأسطى عماد من يده يدخله الى الشقة وأجلسه وقال له ؟؟
اهدا وقل لى من الذى مات ؟؟
المريض الذى هو من ضحايا المهدى . ذهبت الى بيته بالجنيهات المائة وعشرة
فوجدته قد مات . لقد كرهت هذا المال يا أستاذ . خذه انت. تصرف فيه كيف تشاء . انا لن أعود به الى أولادى ولن أذهب به الى اى بيت .. انه مال مشئوم
ظلت يد عماد ممتدة بالأوراق المالية وأصابعه ترتعد وهو متردد لا يدرى ماذا
يفعل . وضع عماد الجنيهات على منضدة قريبة وقال في حسم :
تأكد يا أستاذ أننى لن أدخل هذا المال بيتى .
نهض قائما وتوجه الى الباب يفتحة ويخرج . ثم أقرأه السلام وهو يغلق الباب
خلفة بينما هو جالس في استغراق لا يقدر على الوقوف لوداع ضيفة.
هذا هو المسلم بفطرته التى فطره الله عليها.
ولكنه يطبق الاسلام الحق ، فالأسلام عمل وصدق نية .
ومخافة لله رب العالمين .
مد يده الى الوريقات المالية التى خلفها الأسطى عماد وراءه وأخذ بعدها فاذا بها
مائة وخمسون جنيها .
تبسم في سعادة .. واستقرات نفسه اللوامة مطمئنة ،
وكان رسول الله يقول :
الخير في وفى أمتى الى يوم القيامة .
تنهد من شغاف فؤاده قائلا:

أمامه فتفقده البقية من عقله وتماسكه . فصرخ نشوان
ـ يالله. مأبداع صنعك لخلقك . معك أعرف كيف آدمك هى نعيم الجنة ليرضى حواء ويفوز بحبها لتصبح جنته الوحيده .حلقت بها كلماتة فى سموات النشوة فبعدت عنه تماما . ورأته من علياء ، دميما
قد خلا من أى جاذبية، ولكنها النقود:
تلك اللعنية التى تسهتويها وتجعل مقاومتها دائما تضعف وتجعل من هم مثل المهدى يتغشونها.
لقد نشأت فى أسرة متواضعة الإمكانيات والقدارت، ولكن سوء حظها جعل جيرانها يثرون ألا أبها . كان رزقه يفى بالضروريات التى تكفل لهم الطعام

ورخيص الملبس. ورغم جمالها الذى كثيرا ما سمعت فى الطرقات عبارات
تصفه وتمجده ألا أن أحدا لم يتقدم للزواج منها وتخلصها من فقر أسرتها
كانت تحلم بزوج شاب ثرى فى مثل سنها يقدم لها الملبس والحلى ويحيط جمالها
وفتنتها بما تستحق ولكن حين جاء.. كان عجوزا يبحث عن ترياق الصبا فى شبابها . سرعان ما رحل عن الحياة وتركها بين أناس لا يعرفون غير سهر الليالى ومعاقرة الكأس والحديث عن المغامرات الخاصة . وكان بينهم صديق زوجها الحميم ، تلك الكتلة الضخمة من الشحم واللحم بلا عظم والذى يعمل مخرجا سينمائيا ..
فى حياة زوجها كثيرا ما داعبها أمامه قائلا:
ـ اتركها لى .. أصنع منها نجمة شباك تهز بجمالها الأفتدة ..
وبعد موت زوجها سألها :ـ لماذا لا تدخلين السينما من أوسع أبابها. لدلك الجمال والمال. وبهما تبدأن نجمة
سألته وهى تنظف فستانها :
ـ ألا يكفينى الجمال. وتدفع انت المال..
وقد كان وأصبحت بالدعاية والسهرات والهدايا نجمة مرموقة بين نجوم السينما ..
ولكنها أبدا لم تقو وظللت على ضعفها أمام من يحول أعجابه ألى حلى ومال.
أما المهدى. فلقد رأته فى حياتها مرة واحدة حين جلس يدربها على النطق السليمة
حين أسندت أليها بطولة مسلسل تليفزيونى تاريخى . وحين انتهى من تدريبها
عيناه الكليلتان قد زادتا كلالة على كلالتهما من كرة ما حدق فيها بنهم وحرمان
شديدين ، مما أثار قرفها وجعلها تطلب من المنتج استبداله أكثر من مرة لكنه
يعقب دائما على كلامها ضاحكا :
ـ ياأستاذ نفوذ المهدى قوى.. وهومن سيكتب تقرير صلاحية المسلسل وسلامة
الأحداث من الناحية الدينية .
ـ وانتهى المسلسل وارتاحت أعصابها منه، ولكن دون مقدمات وجدته أمهامها يعرض عليها يعرض عليها أمواله التى عددها بالملايين. ويرتعد باكيا فى حرقة
ثم مرتميا على كتفيها يبثها حبه الذى أشتعلت ناره منذ رآها.. ووجدتها فرصة
أو هى تجربة لتعاشر مراهقا تخطى الخمسين من عمره. وهذا لن يضيف جديدا
فالجسد لا يمتنع على أحد بعد السكر والأهم أن المال أصبح فى قبضتها . وقسيمة
الزواج تنص منه وتطلقه فى اللحظة التى تراها مناسبة .
فى تمثيل واضح، وان خرجت الكلمات صادقة مع تمايل جسدها بالأغراء مد ت
قدمها إلى المهدى تنغم الكلمات:
ـ استنى يامهدى حتى أسكر فتتبين لى مفاتن دنياك..
قال صالح فى نشوة واضحة.
ـ لأن الأمر سار ، أردتك أن تسعد من أجلى .ـ خير ياصديقى . قل، فلم يعد هناك ما يبعث على السرور .
ـ لقد جاءتنى دعوة للحج .
ـ الله اكبر .
لم يملك نفسه فاحتضن صديقه فى سعادة، واستطرد صالح قائلا:
ـ رجل طيب التقيت به فى مجلس قريبى الشيخ ذات يوم وانقطعت علاقتنا
بعدها تماما. ثم إذا به يحضر المجلس ويخبرني بأنه يدعوني وزوجتي ومن
أرى من أولادى للسفر والاقامة الكاملة أيام الحج اره بالمدينة المنورة .
ـ هذه دعوة من صاحب البيت .

ـ وها أنا ذا قد لبيـت .
ـ الحمد الله ..
ـ له كل الحمد والشكر .ــ كنت دائما بعيونى وكنت أفكر دائما عى زيارتك ولكن شاء اللـه أن تكـون أنـت سباقا .. وصاحب الفضل .
ـ ياصديقى الفضل لله صاحب الفضل ..
ـ هل سمعت بما فعل قريبك المتولى للمهدى .
ـ نعم وما فعله نتيجة لكونه يحسن الظن بالمهدى . ولم يكن يعلم بما فعله بنا .
ـ ومن منا كانت تأخذه مظنة سوء بالمهدى قبل أن نتعامل معه ؟
ـ دع الأمر لله . وسأعود لك ولأسرتك بالكعبة بالصلاح والفلاح.
ـ بل لاتنسى ياصديقى أن تدعو الله أن يبعد عنى أزيز اهل الدنيا من حولى فلقد كادوا يجعلون كل حياتى للمهدى وما فعل .
ـ الله يعنيك .
تنهد بكل الصدق رافعا يديه قائلا
ـ يارب ..قال المهدى:
ـ ألست بمؤمن تبحث عن الحق وتسعى اليه ؟؟
أجاب هو :
ـ ارجو من الله ان أكون كذلك .
قال المهدى :
ـ اذن انا فى انتظارك بمكتبى بالوزارة ياصديقى استقبله المهدى على باب المصعد مرحبا وراح يقدمه لكـل من يمر بهم من موظفى الوزارة قائلا
ـ صديقى الأستاذ .." الصحفى الكبير"
ولما وصلا إلى مكتبه أغلق الباب خلفه ثم استأذن ليؤدى صلاة الظهر .
وحين انتهى من الصلاة لم يتجه ألى مكتبه ليجلس أليه كما اعتاد أن يفعل دائما
ولكنه اتجه ألى الأريكة التى يجلس عليها وجلس بجانبه ينظر أليه من خلال نظاريه بعينين ازدادتا كلالـة وانتفخ ما حولهما من أعصاب حتى تورمتا، ثـم
وبلا مقدمات رفع المنظار ورمى به جانبا ووضع يديه على كلتا العينين وأجهش بالبكاء .
أصابه الذهول حتى أنه لم يشعر بأن المهدى قد أراح رأسـه عـلى كتفـه وهـو مسـتطردفى النحيـب وبعـد لحظات رفع المهدى رأسه وقال :
ـ لقد عز على كثيرا ياصديقى أن تكون واحدا ممن يرموننى بالباطل ..
أخرج منديله من جيبه وناوله للمهدى لكى يجفف دمعه ثم قـــال:
ـ لم أرمك بباطل،ولم أتخذ منك ألا موقف العدل ، بل لقد كففت يد النـاس عنـك حـين أزادوا أن يتخطـوا الحدود التى رسمها القانون .
ـ هذه كانت نظرتى اليك دائما . رجل حق. ولهذا لجأت أليك لتسمع الحقيقه ولتتبين موقفى وتدافع عنى .توقف المهدى عن الكلام ومسـح عينيـه، ثـم لـبس نظارتـه وراح ينظـر ى إلى مكونـات الحجـرة المكتـب الفخم، المكتبة الكبيرة ، المقاعد الوثيرة وعاد المهدى يخلع المنظار ليبكى من جديد قائلا:
ـ ان هذا الذى ترانى فيه يا صديقى كونته بالتعب ولم أنله سهلا. وحين يـزج باسـمى فى موضـوع انتهـاب لأموال الناس فأن ذلك يعنى حرج مركزى الوظيفى
العار .

ـ ولكنك فعلت ذلك بنفسك .
ازداد نحيبه وتساقطت كلماتة كدموع عينيه قائلا :
ـ وماذا كان بيدى أن أفعل ، زوج مغلوب على أمره يريد لحياته الزوجية أن تستمر من أجل تربية الأنباء ورعايتهم ، وزوجة رعناء شديد' الالحاح كثيرة
الكلام خبيثة المقصد ، ألا تريح نفسك ياصديقى وتفعل ما تريد أذا ما طالبتك زوجتك بفعله؟ ألم يحدث لك ذلك ؟ ألم تطاردك زوجتك بحديث الا نفس الشىء
نفس الشىء حتى تمل كل شىء وتكره كل شىء .. وتنقذ نفسك من الجنون مؤكد
وتفعل الشىء الذى تريده .
ـ مسكين يا أستاذ مهدى ظلمتك زوجتك وظلمناك بظلمها ، ولكنك تماديت فى الانقياد وراءها، كان واجبك أن تقاوم ثم .. ثم أنك قد نلت أيضا مما غنمته من أموالنا .
ارتفع نحيب المهدى ، رفع يديه إلى السماء وجأر صائحا :
ــ اللهم أنزل على غضبك ان كنت قد أخذت منها شيا. لقد استولت هى على المال جميعه .
ـ وما أخذته من الشيخ المتولى، ما جمعه لك من أهل الخير أين هذا المال؟
ـ وهكذا يزيد البلاء أوصلت اليك هذه الأكاذيب . اسمع يا صديقى الحقيقة لقد كان الشيخ المتولى محتاج لمساعد يجمع له أسانيد كتاب جديد، وكل ما بينى وبينه
عقد بأربعين ألفا من الجنيهات وليس كما يشاع مائة ألف أو تزيد .
ـ اسمع يا صديقى . اعلم أن لك ابنا بالجامعة. وأفهم تماما مدى حاجتك للمال ومنطلق الصداقة سوف أدبر لك مبلغا يسلعدك على اجتياز احتياجاتك.
ـ ليس الأمر كذلك .
ـ يا صديقى لا تكن هكذا . هذا المال سوف أسترده من هنية .
نهض إلى المكتبة وفتح أحد أدراجها وأخرج رزمتان من الجنيهات ودفع بهما اليه قائلا :
ـ امسك يا صديقى .. هذان الفان من الجنيهات .. وكل ما أرجوه أن لا يعرف أحد بهذا الأمر .. أرحوك ..
وكان المهدى يدفعه مع الجنيهات قد هينا إلى باب الخروج.وجد نفسه فى الطريق ورزمتا الجنيهات قد استقرت فى جيوبه ، ويده تلوح دون كلل صارخ :
تاكسى .. تاكسى ..
كان يريد أن يهرب إلى أن يهرب إلى أى مكان .. يجلس وحيدا يتأمل فيما قاله المهدى .. فلقد فجر كلام المهدى الاما نفسية واحساسا بالذنب داخله .: هل يكون المهدى مظلوم حقا ؟
: ولماذا لا وها هو ذا يقدم له المال دون أن يطلب منه شيئا الا لمجرد احساس المهدى مثل أى زوج مغلوب على أمره مكره على طاعة زوجتة؟
ـ ولكن عن أفعال المهدى السابقة ، كذبه فى أمر السفر إلى السعودية .
: ولماذا لا يكون كل ذلك بتخطيط من زوجته حتى تبيع السيارة وتستولى على ثمنها .
: وعدم مد يد المساعدة للشاب المريض رحمه الله ؟؟
: لأنه لم يكن يملك مالا يساعده به فى تلك الايام . ولقد كان لذلك عصبيا سليط اللسان فظ التصرف فعو ير الباطل بين يديه ولا يستطيع أن يدفعه، بل يجد نفسه
غرقا فيـــه :
تكاثرت الأسئلة وتلاحقت الأفكار تدير رأسه وتدق بعنف على مشاعره حتى أفاقه
صوت سائق التاكسى بسأله :
ـ يا استاذ لى ساعة أدور بك فى شوراع المدينة وأنت لا تزيد عن ترديد قوله:
واصل السير . أليس لك هدف تريد الوصول اليه ؟
قال معتذرا :

ـ ليت النوايا تكون ظاهرة فى أقوالنا بلا التواء حتى تسهل علينا الوصول ألى الأهداف أو حتى لتجديدها .
ـ ماذا تقول يا أستاذ ؟
استدرك هو معتذرا وأعلن السائق بعنوان بيته ..
الفصل السادس

بسم الله الرحمن الرحيم
" ولا يحيق المكر السيىء الا بأهله ...."
صدق الله العظيم

المكر السيـــىء

وجده يجلس منتظرا بمكتبه بالمجلة .. هادئا راه أول مرة :
ـ أهلا بالأخ محمد اسماعيل
كان ترحيبه صادقا فلقد وجد فى حضوره نجيده سماوية قد تخرجه من حيرته التى
يعيشها منذ لقائة بالمهدى فزوجته قد هاجمت المهدى بعنف حين قص عليها ما حدثفى لقائه بالمهـدى..
ورفضت أن تخرج به من مظنة الاتهام، ورغم سعادتها الشـديدة بـالنقود التـى اسـتدرها منـه، وهـو مـا
التفت عن صراعه بين سمع من المهدى
وسمع من الناس .
سأله محمد اسماعيل وهو يصافحه هازا يده وكأنه يسعى لافاقته من هواجسه:
ـ هل قرأت الموضوع الذى كتبته منذ يومين ؟جلس معتذرا وهو يفيق من أفكاره :
ـ الواقع أننى لم اقرأه .. يبدو أن مقواه صديقنا عن الصحفيين من أنتم يكتبون ولا يقرأون صحيحة .
قال محمد اسماعيل فى حزن :
ـ لقد عرفت بمأساة الشاب الذى مات ، وهزتنى الحقيقة هزا مؤلما فكتيب مناشدا
المسئولين أن يتدخلوا فى مأساة ضحايا المهدى رحمة بالمتحاجين منهم ولقد اتصل
بى أمس وزير الآوقاف وقال انه طلب المهدى وعنفه بشدة ، وأنذره بأنه اذا لم يرد للنـاس أمـوالهم خـلال
أيام فسوف يوقفه عن العمل ويحليه إلى لجنة تأديبية للتحقيق معه ..
.. قفزت زوجتـه ملوحـة فى انتصار:ـ ألم أقـل لـك أنهـا منـاورة مـن المهـدى يريـد أن ينقـذ بهـا نفسـه ..
ذهبـت علامـات التعجـب التـى طاردتـه منـذ وجـد المهـدى ينتظـره أمـام بـاب المصـعد بـالوزارة .
قال لنفسه بصوت مسموع :
ـ لهذا انتظرنى أمام باب المصعد ولكى يبرىء نفسه قدمنى إلى الجميع معرفا باسمى ..
ابتسم محمد اسماعيل وبشفافية المؤمن الصادق تساءل :
ـ هل طلب المهدى منك أن تذهب اليه بالوزارة ؟
ـ نعم واستقبلنى بعاصفة من الترحيب ، بل وأصر أن يصحبنى إلى المصعد عند
خروجى والنقود التى أعطاها لى مازالت بعد بيدى .
ـ تعمد هذا لكى يوهم الجميع بأنه قد رد عليك مالك.
قال هو فى دهشة :
ـ بالله .. انه فعل كفعل الشياطين .
واستطرد محمد اسماعيل قائلا :
ـ هل بكى وحدثك عن مستقبله الذى بناه بالكفاح، كيف سيضيع بسبب أخذه بالباطل فى قضـية لا ناقـة
له فيها و لاجمل ـ هذا ما حدث بالضبط .

ـ وهذا مافعله المهدى أمام الوزير حين استدعاه وما فعلـه أيضـا أمـام شـيخى المتـولى وأمـام الموجـودين بمجلسه حين أبكانا جميعا ـ لطفك ورحمتك ياالله .. لقد أرحتنى من تأنيب ضميرى لمظنة ظلمنا المهـدى .

ـ انه كيد الشياطين ياأخى وهو محيط بأهله.

ـ وأنت ياأخى جئت لى بالرحمة من هواجسى حول المهدى. الحمد لله الذى أرسلك إلى .

وكان حملا لا يطيقة قد انزاح من فوق صدره، ولم لا وقد كان مطاردا دائما ومؤرقا بـاقول الالهـى (ومـن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرد به بريئا فقد احتمل

بهتانا واثما مبينا) .

ليل نهار كانت صورة المهدى تطارده .. باكيا .. نائما .. متظلما فيدخل به فى

متاهات لا نهاية لها : فأين الحقيقة .. وأين الكذب ومن الظالم .. ومن يكون المظلوم وهل هـو فى جانـب الحق أم فى جانب الباطل وقد أعماه الظلم الذى وقع

عليه عن ادراك العدل ؟؟ولكن ها هو ذا محمد اسماعيل يظهر فجـأة ليريحـه، وكأنـه مـلاك مـن ملائكـة الرحمة

ظهر فى حياتها فجأة. ذاك الصبى الصغير الذى يسكن فى الحارة التى نشأت بهـا

بها ، لكنه لم يكن كما أحبته صغيرا مقداما كثير المشاكسة فتاها المثالى الـــذى

تعشق كل ذرة فيه وحركة منه بل عبوس منطو لا يغادر مكتنه وراء الكاميرا الا للضرـورة لا يتحـدث مـع العاملين ولا يداعب الممثلات كغيره ..

ورغم تغير مظهره وسلوكه، ورغم عدم التفاته اليها أو اهتمامه بها الا أن الدماء

اندفعت بشدة لتجعل وجهها فى حمرة الورد حين رأته، وهى لم تعد تذكر اخر مرة حدث لهـا مثـل هـذا الخدر اللذيذ ، لكنها سيطرت على مشاعرها وأدت دورها باجادة وأشاد المخرج بالسرعة التى انتهـت بهـا اللقطة ، وأعلن عن توقف التصوير

للراحة والغذاء ...ال لها مغازلا:

ـ لم أرك على مثل هذه الحرارة والتقمص ياحلوة .

ـ أسرعت هى إلى حجرة خلع الملابس، بدلت ملابس التصوير، وخرجت إلى حيـث تقبـع الملابـس، بـدلت ملابس خلفها لكنه كان قد غادر مكانة، لم تسأل عنة ولم

يداخلها اليأس للحظة فى كونها سوف تجده فهى تثق أنه قدرها ومحطتها الأخيرة

شىء ما كان خفيا عليها بدأ يتحرك داخل نفسها يهمس ويوجه: اذهبى إلى المطعم

بالطابق الثانى عشر.

ـ استقبلها عامـل المصـعد والعـاملون بـالتليفزيون ممـن تصـادف وجـودهم بالتهليـل وانهالـت عبـارات الاعجاب وهى على غير عادتها لا تلتفت لكل هذا الاحتفــاء

خطواتها تتحرك بثبات إلى داخل المصعد ثم تحملها خارجه إلى الهدف المحد:

مطعم التليفزيون ولتنظر إلى يمين الباب حين يدخل فهو .. هو هناك .ــ وقد كان ووجدتـة أمامهـا يلـتهم طعامه ببطء وحيدا. هو فقط من خلت منضدته من شريك أو شريكة، تقدمت أليه متهللة ومهللة :

ـ شريف شلقامى.. أشقى ولد فى حارة جوهر .. ألست هــو؟

ـ نظر اليها وكأنه لا يراها ، فكل ما أثار انتباهه ، أن هناك من ذكر اسمه .

ـ جلست فى اصرار على المقعد المواجه واستطردت تقول ضاحكة :

ـ لا تقل أنه ليس أنت : شريف .

رفع جفنيه ببطء ونظر اليها طويلا ثم قال :ـ وماذا تعرف نجمتنا عن حارة جوهر؟؟
رفعت شعرها الناعم بكفيها إلى أعلى، نفس الحركة التى كانت تستهويه بها وهى طفلة :
ـ ألم تعرفنى بعد .. ؟
ـ هذه الحركة أعرف صاحبتها
ازدادت سعادة فوق سعادتها ، زغردت الحياة حولها بالأفراح وكأنه قد طلب منها أن تتزوجه قالت :
ـ أذن أنت شريف .. وأنا سعدية .
ـ أيعقل هذا .. سونا حسنى نجمة السينما .. هى سعدية بنت عم حسين ؟ـ هل يعقل أن الشيطان حارة جوهر يجلس وحيدا فى أدب المتصوفين؟
ـ وتتحدثين عن التصوف ..
ـ قرأت هنا وهناك ، واخلطت بالمثقفين من الصحفيين والكتاب .
قالتها فى دلال ثم سألته:ـ ألن تدعونى للغذاء ...ـ خيرك سابق يابنت عم حسين . كم أعطيتنى من طعامك
..ـ بل قل الحقيقة وهى كم اختطفت بالقوة طعامى .
وسار بهما الحديث بلا توقف، وسألته عن أحواله ، ولم تطمئن الا حين
علمت انه لم يوفق فى زواجه وأنه يعيش وحيدا ..
وحين سألها عن الذى أوصلها لهذا العالم العريب عن طموحها ونشأتها
كلمته بكل صدق عن تجربتها مع الزواج ولم تصرح بأنها زوجه للمهدى
حتى لا تضع أمام تدفق مشاعرها حدودا وقيودا..ـ واستمرت أيام عملها بالمسلسل التليفزيونى والعلاقة القديمة تحفر فى
أخاديد الأيام مجرى جديدا للنهر القديم حتى يعود ثانية إلى الجريان، واصبح
الجميع يعرفون أن شريف شلقانى هو مفتاح الكنز، أو هو كلمة السر لأخذ
موافقة النجمة المشهورة سونا حسنى على اى شىء .
ـ ولم يكن غريبا أن يعود المهدى بعد أيام ثلاثة من بدء زوجته سونا تصوير
مسلسها التليفزيونى .. إلى شقة الزوجية ليجد ورقة على الباب الذى لم يستطع
فتحه تعلمه فيها أنها غيرت مفاتيح الباب وان حقيبة ملابسه وورقة الطلاق
موجودان بحجرة حارس البيت ..ـ لم يكن يتصور أن تنتهى زيجته بالنجمة المعروف فى اقل من شهر .
واذا كانت هذه هى النهاية المنتظرة، أين ما ائتمنها عليه؟أين النصف مليون جنية؟؟وجاءه الجواب أخيرا من خلال الهاتف :
ـ وهل نص الشرع يا أستاذ نهدى على أن الزوخ يسترد مهر زوجته .واختفت كل المرئيات ...ولم يعد للمهدى بعالم الوجود صلة ..فلا يدرى ما الحال ..ولا أين الزوجة أو الولد ...قال لزوجته وهو يفتح الباب :
ـ هل علمت بأن النيابة قد قررت التحفظ على أموال المهدى وهنية وأولاده ؟؟
ـ هل علمت أنت .. بأن هناك قرارا بالضبط والاحضار قد صدر من النيابه
والغول يؤكد أن هنية والمهدى سوف يسجنان على ذمة القضية ، ثم يستمر
سجنهما إلى أن يسددا ما عليها من أموال؟؟ـ قبل أن أنسى .. لقد اتصل بك صالح يسأل ان كنت تريد أن يحضر لك
مشتروات من السعودية فرحلة الحج اقترب موعدها .
ـ اذن سوف نزوره الليلة معا .. ليتك تخبرى زودته حتى ينظرنا فلا يخرج
كعادته .

ـ دخل هو إلى حجرة المكتب . وذهبت زوجه إلى حيث الهاتف ثـم سـمعتها تتحـدث إلى زوجـة صـالح . بينما انصرف هو إلى المكتبة فأخرج من أحد أدراجها
المال الذى أعطاه له المهدى فقسمه إلى نصيبين أعاد أحدهما إلى الدرج ووضع
النصيب الا خر فى مظروف وأغلقه ثم أدخله فى جيب سترته ثم علقها على حامل
الملابس وارتدى منامته وبعدها استغرق فى اعداد مكان الصلاة انتظارا الجميـع
أولاده ليصلوا العصر جماعة كما تعودوا بينما فكره يعمل فى اتجاه اخر ..
: هذا الألف من الجنيهات ستعين دون شك صديقه صالحا فى فترة الحـج كـما ستسـاعده هـو أيضـا عـلى اللقيام بعمرة عند حلول الربيع ولعل الرزاق الكريم ييسرها فيصحب أسرتـة معـه ولـو عـن طريـق الـبر فأسعار السفر أقل كثير من اسعار الطائرات وان زدات المشقة .
: هل هناك أعظم من مشقة السعى فى سبيل الله ولله ؟
: ولكن ما موقفك من المهدى منك بأن لا تصرح لأحد بأنه أعطاك مالا.
: هل لمن هو على شاكلة المهدى من قول يصان أو يصدق .
انتحى بثديقه صالح جانبا أن التقى به فى مسكنه، وأخرج المظروف الذى به المال ووضـعه فى يـده بعـزم شديد قــائلا:
ـ اسمع ياصالح .. لقد رد إلى المهدى ألفين من الجنيهات اقتسمتها معك، وهذه ألف من مالك ردها اللـه عليك.
حاول صالح أن يرد المظروف ولكنه أكد له قائلا:
ـ لولا أننى أتمنى على الله أن تيسر لى عمرة فى الربيع القادم ما أبقيت لنفسى من المال شـيئا ولأتيتـك بـه جميعا .
شكره صالح وقال معاتبا:
ـ أجتني لتعطينى هذا المال ؟
ـ بل جئتك محييا وداعيا لك حج مبرور وذنب مغفور وراجيا أن تدعو لى بحج قريب ..
ـ اللهم أسال أن ييسره لك .
رفع كفيه إلى السماء وصدقت أعماقه فى رجاء :ـ أمـــين..
وقف المهدى مهارا أمام المحقق وقد نهدلت ملابسه عليه بعد أن جف عوده حزنا وكمدا ظهرا فى كلماته المرتعدة الشاكية من مخادعة نجمة السينما له، واستيلاتها
على الأموال التى كان يريد ردها لأصحابها كما ادعى كذبا ..
وحين سمعت هنية ما قاله صكت وجهها وصرخت:
ـ أخذت المال أيضا وأنت من أفهمتنى بأنك طلقتنى حفاظا على المال ومن أن تصل اليـه يـد العـدل . يـا رب ماذا تفعل بى دنياى: زوج فقد الرشد وجن على كبر وابن كنت أظنه السند لى فى مواجهة الايـام فـاذا به يسرقنى مثل سرقة أبيه .
ثم سقطت هنية مغشيا عليها للحظات ، وحين أسعفوها بالماء أفاقت وعيناها تلمعان ببريق عـزم شـديد أو هو يأس أكثر شدة .
حاولت قدر المستطاع أن تفرد جسدها الملىء بالشحم وهى تقترب من المحقق قائله :
ـ اكتب ياسيدى اعترافى كاملا ..حاول المهدى أن يوقفها ولكـن المحقـق طلـب مـن الحـارس اخراجـه مـن الحجرة واستطردت هنية قائلة :ـ كنا نعيش كأسرة أسعد أيامنا فى ذلك الزمان الذى لم يكن فى بيتنا ثلاجة
أوفيديو أو تليفزيون ، كان زوجى يؤدى عمله باخلاص ونحمد الله على نعمة رزقة
وشمولنا بالستر ، وفجأة بدأ زوجى يتمرد على كل شىء على كزوجـة وعلـى
امكنيات حياتنا المتواضعة وكيف أن غيره من الزملاء يعيشون ملوكا . قلت لـه

ولماذا لأ تفعل ما يفعلون . قال انه لا يملك مواهبهم فهم يكتبــون ويبحــثون
ويدرسون ويكسبون من وراء ذلك أموالا كثيرة وهو يستطيع شيئا من هذا وليست
لديه طاقة عليمة .قلت له : اذن سافر إلى أى بلد عربى فالمرتبات هناك أكبر .قال: ولماذا لا تفعل ما فعل غيرنا .قلت : وماذا فعل أولئك ؟
قال اختاروا الطريق السهل للثراء السريع.
وشممت رائحة غير طيبة فى كلامه واستكثرت أن يسرق زوجى أويكذب فقلت له
وهل نسيت أن الاخرة خير وأبقى؟ لتشترى بها الدنيا وسمعت ردا غريبا: ومــن
أدراك أن اخرتنا ستكون أسعد حالا من دنيانا ؟؟
كان ياسيدى فى حالة من الهياج المخيف، فوجهه مشدود الجلد منتفخ وعيناه حمراوان جاحظتان وبدنه يرتعد كالمحموم .
وجدت أن السكوت أفضل وقلت لنفسى أنها لحظة من لحظات تمكن الشيطان ولكن
بعد أيام وجدت المهدى يسألنى :
ألا تعرفين أحد من الجيران؟
كان سؤاله غريبا فهو لا يكاد يجد له مانا بالبيت لكثرة الجارات اللاتى يزرننى تبركا بالأستاذ ، وطلبا للنصح ولحاجتهم لفهم دينهم أكثر .
ولم يكن أمامى الا أن أقول له : ماذا تمثل تلك الجارات أن لم يكن تأكيدا لمعرفتنا
بكل الجيران .قال متأففا قرفانا :
ـ مظهرهن ينم عن كونهن فقيرات مثلنا ، لسن ثريات ولا فقط سمان .وهكذا استطرد بنا الحديث لينتهى الأمر إلى ما انتهينا الية . أشعت بين الجميع أن
هناك فرصة لاستثمار أموالهم بالحلال وحسب شرع الله ودون الوقوع فى براثن الربا وما هى ألا أيام حتى انهالت الأموال بالآلاف، وسألت المهدى : ولكن من أين ستدفع لهم أرباح هذا المال وليست لدينا تجارة ولا شطارةقال لى فى هدوء وثقة شديدين : من ذات اموالهم قلت له منزعجة ولاكن المال سينتهى سريعا ضحك المهدى ضحكة لاانساها فلم اسمعها منه من قبل ولا بعد ثم قال لن تكون هناك سنوات كثيرة لتستنفد كل الودائع ولا حتى نصفها والضربة الكبرى مع ذيادة الايداعات وهذه ستكون لنا خالصة ونرتاح من الفقر ثم ومنذ اكثر من ستة اشهر جاء إلى البيت مهللا وقال لقد فرجت من اوسع الابواب وقص على كيف انه تعاقد
للعمل خارج البلاد واننا نستطيع ان نعلن عن سرقة جزء كبير من الاموال ثم نطلب من المودعين التريث وبعدها نفاوضهم لنصل بهم إلى درجة اليأس وهنا
عليهم أن يتنازلوا عن كل ما صرف لهم ونصف ماتبقى ثم نعطيهم ربعه والباقى
من مرتب على ثلاثة أو اربعة أعوام وأكد لى أن هذه هى أسلم طريقة، لأن عائد الاموال من البنك سوف يكفى ويزيد لسداد المتبقى للناس . أما أذا حدث غير ذلك فسوف يطلقنى أو يودعنى مستشفى للأمراض العقلية لاسقاط الحق القانونى للمودعين . وبدأ تنفيذ ما اتفقنا عليه ولكنى فوجئت بما حدث وبما هو أمر وأقسى فلقد استيقظت من نومى منذ أيام لأجد ابنى البكر يستخرج الذهب الذى أخفيته عنكم فى مكان سرى..
ويتسلل به خارج البيت لحقت به واستعدته قسرا، وها هو ذا الذهب ياسيدى . انة
يساوى مائة ألف من الجنيهات أو يزيد ..
ردوه إلى أصحابه ولا تسجنونى .. اسبحنوا المتسبب الحقيق.. طليقى المهدى لعنه الله ..
عندما فتح الباب عائدا من العمل فوجىء باجتماع صاخب فى بيته ..

كان هناك أكثر من عشرة أشخاص يتصايحون جميعا فى وقت واحد دون اهتمام أن كان هناك من يستمع أليهم أم لا . ثم سكتوا فجأة حين ألقى عليهم السلام ثم انتبهوا فبدأوا يردون فرادى أو مجتمعين :
ـ وعليكم السلام ..تقافز صارخا وهو يقترب منه ثم يتشبث بكتفه :
ـ أنقذنى ياجارى العزيز.. يريدون أن ينتهبوا حقوقى .
قالت أم ابراهيم فى عنف لم يرها عليه منذ عرفها :
ـ أى حقوق ياسيادة اللواء . انك تريد أن تقدر الديون التى لك لدى المهدى بما هو مكتوب بالايصالات . وأنت تعرف ونحن نعرف أن الأرقام المكتوبة ثلاثة أضعاف المبلغ الذى أعطيته للمهدى .
صرخ الغول وقد ازرق لونه .
ـ ولكنى لن أقبل الا ما دفعت. وما تم العثور عليه لا يكفى ألا لسداد ربع ما دفع الناس .
وهكذا ترون أننى لن أصل إلى مبلغى كاملا .قال أمين الطوبجى :ـ بهذا يحرم غيرك . وتنتهب أنصبتهم .
ازداد الغول انفعالا وراح يتمايل يمنه ويسرة هو يقول أنا أنهيت .. أنا اسرق .. وأنتم اللصوص كلكم لصوص تريدون سرقتى . أنت
يا أم ابراهيم جمعت مالك من سرقة الزبائن وغشهم . وأنت يا سيدة الصالون. هل
تعرفين مصدر مالك الذى تتباكين علية . أم أقول لهم من أين لك هذا المال .. وأنت..وأنت و ...
وتقافزت النسوة عليه يصرخن فيه ويخدشن وجهع إلى أن أسكتت صرخة أمين الطوبجى الجميع حين قال :
ـ سوف نشهد جميعا بأنك زورت الايصالات ، وسوف يثبت الطب الشرعى صدق مقولتنا ياغول .
ولم يحتمل الغول: سقط على الأرض والعرق يتصبب غزيرا من جسده .. واننى
أحد الموجودين يفحصه ثم همس :
جيئونى بالهاتف لنطلب الاسعاف فالغول قد أصيب بأزمة قلبية ويجب نقله فورا إلى المستشفى .
سقطت سحابة ثقيلة خيمت بالصمت والحزن على الموجودين ولم يعد أحد يتكلم، وكل مايسمع صوت التنفس أو كلمات الطبيب. والجميع أصابتهم الحقيقة بالذهول
فجمدوا فى أماكنهم ولم يتحرك أحد من موقعه الا حين دق جرس الباب ودخل رجال الاسعاف ليحملوا بمساعدة الموجودين الغول إلى السيارة التى كانت تنتظر أمام الباب البيت . وبعد ساعات ذهب هو إلى الغول بالمستشفى يعوده ومعه الأسطى عماد قال الغول
ـ يعلم الله أن لك دينا فى عنقى كتبت لك شيك به وهاك تعهد منى بالمبلغ الذى أخذه المهدى لقد كانت ليلةأمس بالنسبة لى هى رحلة الحساب والحقيقة. وأنا شديد
الأسف شديد الندم على تصرفى معك حين قبلت أن أبيعك سيارتى القديمة وحين قبلت أن أنتهب مالك. لقد كانت جهالة منى ..وأحمد الله أن أفقت .. أغفر لى ياجارى وسامحنى .. وادعو لى ..خرج من المستشفى وهو لا يكاد يعى ما قال الغول : اليلة مع المرض تغير الانسان هكذا وكأنما كان الأسطى عماد يقرا أفكاره فلقد قال له فجاة :
ـ سبحان مصرف القلوب، يقير من حال إلى حال .... وكان هو عائدا من زيارة المدين المنورة زالحافلة التى يركبونها تقترب من دائرة الكعبة المشرفة ومع اقترابها تتفتت ذرات نفسه شعاعا يطوف بعيدا عنه بالحب وتلتصق الذرات بالبيت وتتشمم عطر الركن اليمانى والحجر الأسود
وتتعلق بالأستار لحظة .. لحظة واحدة تستطيع أن تحول بأمر الله الانسان من حال للحال :
سبحان مصرف القلوب .. سبحان الله ..
له فى خلقه شئون ...

الليل صامت
المدينة المجنونة قد أهلكت طاقاتها وقدرتها على الصراخ والصخب فى كل ذلط الهوس الذى مارسته طيلة نهارها وطيلة جزء كبير من الليل .وهو جالس فى شرفة بيته .. منشيا برطوبة تشبعت بها ذرات الهواء، متأملا ذاك
النجم اللامع الوحيد فى ظلمة السماء وتلك السيارة التى همدت حركتها على أجناب الطريق وذلك الظلام الذى لف عشرات البنايات حوله فجعلها تقف كالجبال الراسيات ظاهرها موات وباطنها حركة وحياة
وقال لنفسه :
سبحانك اللهم .. جعلت لكل بداية نهاية ولكل حياة ممات وأن انشغل الخلق بأمر حياتهم وظنوا أنهم معها مخلدون، فأنستهم أنفسهم ونسوا بهذا الحقيقة الوحيدة الباقية والمبقية : ونسوا الله ..
هل كان المهدى يفعل ما فعل الا بعد أن تخيل أنه مخلد فلا موت ولا بعث ولا حساب . فضاع وضيع من حوله ..وتصاعدت الأصوات من كل مكان :
ـ الله أكبر ..
ـ الله أكبر ..
مع الترديد الملائكى لأذان الفجر، تداخل صوت رنين جرس الهاتف ..
نهض مسرعا لير حتى لا يزعج الجرس أحدا من النائمين، وهو واثق من أن الامر لايزيد على خطأ فى رقم الهاتف ..
لكنه حين رفع السماعة جاء صوت ليس بغريب علية :ـ أنا صديقك مصطفى .. زميل الدراسة .. أتحدث اليك من المدينة المنورة حيث
أعيش منذ سنين .. هل تذكرنى .. أنا أذكرك جيدا بدليل أنك تعيش معى طيلة الايام العشرة الماضية ظلت صورتك تطاردنى. ولم أكن أعلم لذلك سببا إلى أن كان يوم أمس .. اسمع يا أخى .. لقد كنت مع صحبة من أهل الخير هم يملكون
دار للنشر هنا بالسعودية أنهم يعتزمون أصدار مجلة تعنى بأمو المسلمين فى كل
مكان .. سألونى أن أرشح لهم أسما ، تذكرتك أو قل أخرجت .
اسمك من داخلى إلى طرف لسانى فقط .. فى رد فعلى سريع وغير منتظر وجدتهم يرحبون بك لتعمل معهم . اتصلت بإدارة المجلة حيث أتابع كتابايك أيام
أن كنت تكتب وأبلغونى برقم هاتف بيتك . أسف أن كنت أزعجتك بالحديث فى
هذا الوقت. ولكن الناس هنا يتعجلون تنفيذ مشروعهم وقد أبلغونى منذ ساعات قليلة بأن مندوبهم سيكون بالقاهرة بعد تباحث معه عقد لك بأجر طيب إلى جانب
السكن والسيارة تباحث معه حول من ترشحهم للعمل معك وليكونوا أهل خلق وخبرة.. ومكان اللقاء أن شاء الله العاشرة صباحا بمكان عملك .. وأرجو أن تكون فى انتظاره .. واذا شاء الله سنلتقى معا بالمدينة لنستعيد ذكريات أيام طيبات
اقول لك تصبح على خير ..
أقفل المتحدث الخط، ولم ينطلق هو بكلمة، والسماعة ما زالت معلقة بيده .. الصمت عاود أحاطته بكل الموجودات :
: صديقك مصطفى .
: أهل خير يريدونك أن تعمل بالمدينة ..
: تباحث مع مندوبهم حول من ترشحهم للعمل ..: صالح سيصبح له عمل ..
: أمه واخوته سيزورونه وسيجدون عنده مقاما طيبا فى رحاب مسجد رسول الله

: عقد بأجر طيب وسيارة وكأنه عوض له عن ما أخذه المهدى .: اللـه يخلـف عـلى مـن يشـاء بـالخيرات، وليمضغ المهدى مالك نارا .

: يتعجلون أصدار المجلة .

: تتعجل أنت السفر للعمرة .

: تحلم بالحج . : ستسافر سريعا .. سريعا .. أسرع من أحلامك فى رؤية ديار الحب .

ـ ترك سماعة الهاتف من يده ، جلس على الأرض ثم خر ساجدا لله فى تبتل وخشوع وهـوم مرتفعـا عـبر طبقات الجو بين النجوم والسحب ، وكل ذرات الوجود

تردد معه ملبية : لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك
